# حول مائدة المعرفة

تفسير وتقريب لكتب مأثورة وأفكار خالدة

إشراف
عباس محمود العقاد
عثمان نويه
ثروت أباظة

٤

# النساء فى الأدب

- دى سيفينى : رسائل مدام دى سيفينى
- شارلوت برونتى : جين إير
- ستراشى : الملكة فيكتوريا
- إبسن : هيدا جابلر
- مِل : السيادة على النساء

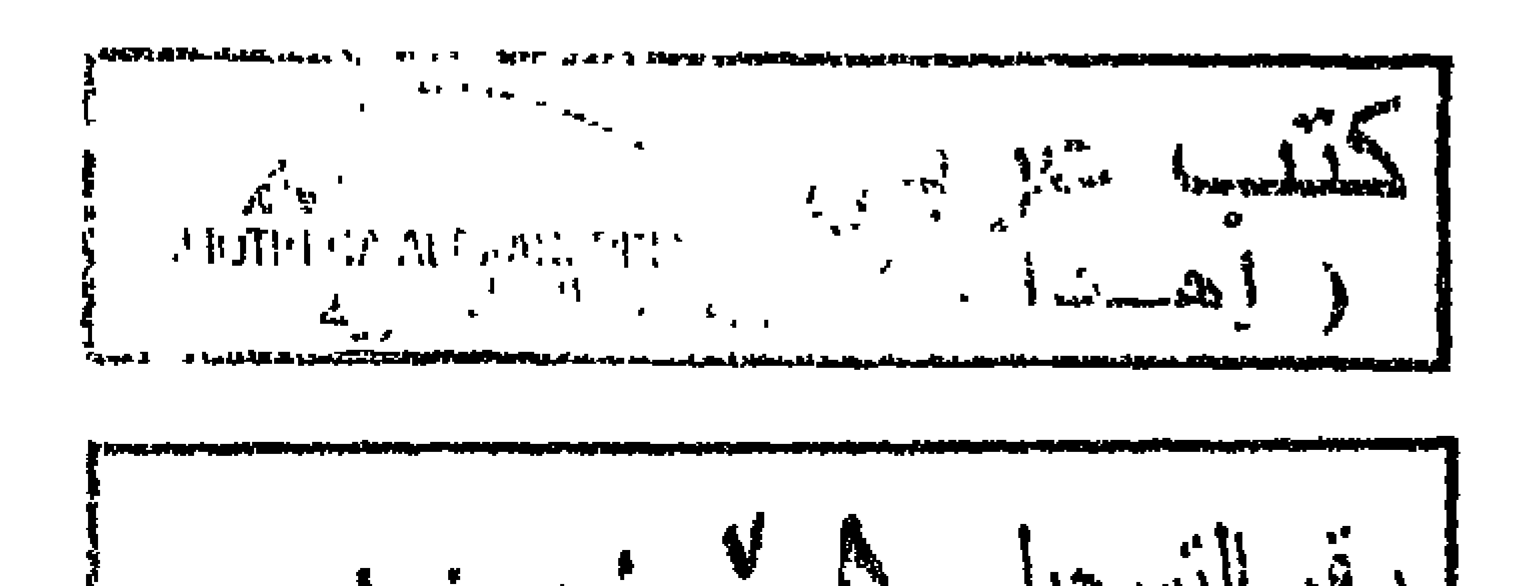
ترجمة
جلال مظهر

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ثروت اباظة

القاهرة

تفسير وتقريب لكتب مأثورة وأفكار خالدة




# حول مائدة المعرفة

٤


بإشراف

عباس محمود العقاد
عثمان نويه
ثروت أباظه

نشر هـــذا الكتاب بالاشتراك
مع
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
القاهرة ــ نيويورك
نوفمبر سنة ١٩٦١

# النساء في الأدب

ترجمة

**جلال مظهر**

تقديم وتعريف

الأستاذ عباس محمود العقاد

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد ( عماد الدين سابقا )

# محتويات الكتاب

صفحة

# تقـــديم

للمرأة فى هذه المجموعة حصة الأســد ، لأنها تشتمل على رســائل مدام سيفينى ، وقصة شارلوت برونتى ، وســيرة الملكة فكتوريا ، وشخصية هيدا جابلر أشهر بطلات الكاتب النرويجى هنريك ابسن الذى تخصص فى مسرحياته لدراسة الشخصيات النسوية ، وختامها بحث فى كتاب الفيلسوف الانجليزى چون ستيوارت مل عن حقوق النســاء فى القانون وفى الدستور .

واختصاص المرأة بالقسط الأوفر فى موضوعات هــذه المجموعة لا يمنع أن تكون على المألوف منها منوعة متعددة الجوانب بأكثر من معنى واحد ، لأن تعدد جوانبها قد يتناول الكتّاب ومواطنهم كما يتناول الكتب وموضوعاتها .

ففيها تعليق على أدب الرسالة ، وتعليق على أدب القصة ، وتعليق على أدب المسرحية ، وفيها عدا ذلك المام بالسيرة التاريخية والمام بمباحث الاجتماع وحقوق الانسان .

ومن مؤلفيها كاتبــة فرنسية ، وأديبة ارلندية ، وروائى نرويجى ، ومؤرخ وفيلسوف انجليزيان .

وأهم خصــائص المجموعة — كما عرف فى عنوان مكتبة الجد أن مؤلفاتها ثبتت لامتحان جيلين على الاقل أو عدة أجيال، يقرؤها الجد ثم الأبن والحفيد ، وقد يكون مؤلفها من أبناء عصر قديم ولكنه من أبناء الفكر الانسانى الخالد الذى لا يحده بلد ولا زمن ، وصبغته الانسانية — من ثم — أبقى له والصق به من صبغة موطنه وعصره .

وكل هذه المؤلفات متداول فى العصر الحاضر بين قرأء اللغات الأوربية على درجات متفاوتة من التداول ، وعلى اختلاف فى الذوق والتقــدير

حسب اختلاف القراء ، ولكنها كلها من الآثار الأدبية التى كتب لها أن تتخطى امتحان الجيل الواحد وتكتسب لها حقاً فى تاريخ الأدب أثبت من حق الزى الطارىء والعرف الموقوت .

ان قراءة الرسائل بقلم مدام دى سيڤينى تنقلنا الى العصر الذى تجمعت فيه جراثيم الثورة الفرنسية الكبرى ، وقد نرى الكاتبة النبيلة فى جميع رسائلها مستغرقة فى نطاق تلك الطبقة الأرستقراطية التى ولدت فيها وعاشت بين ابنائها وبناتها ، ولكنها اذا وصفتهم فى حجرات القصر ومن وراء المظاهر والتقاليد فانما تصفهم « ذوات بشرية » كسائر أبناء آدم وحواء ، وتصفهم وهم معرضون للسخرية والاشفاق كما تصفهم وهم عاطلون من حلل الأبهة والخيلاء ، وكلهم — وهو عاطل من مظاهره — خليق أن يلتبس على الناظرين اليه وراء ذلك الستار الطارىء الذى تنسجه تقاليد الطبقة وانماط المعيشة المتقلبة بين الامس واليوم .

والفتاة « جين اير » بطلة القصة التى خلقتها شارلوت برونتى هى هى شارلوت برونتى نفسها كما خلقها الله . وما أعجب شارلوت برونتى نفسها من مخلوق انسانى فى الصميم !

ان القارىء لينسى القصة وشخوصها وهو يلتفت من العمل الأدبى الى مؤلفته والى الشخوص التى أحدقت بها فى حياتها القصيرة ، وأولاها بالالتفات شخوص أبيها وأمها وأخواتها ، وكل من عاش منهن قد نبغ فى فنه وقضى فى زهرة الشباب ، وزود الدنيا بمثل من أمثلة الكفاح مع الفاقة والسقم والخمول أعجب من أمثلة الخيال .

وتطالعنا فى المجموعة سيرة الملكة فكتوريا فنطلع منها على حياة « امرأة انسانة » تخلع عنها التاج لتشارك جميع بنات حواء فى حصتهن المقدورة لهن من فضيلة الأنوثة وضعفها . وقد كان وزيرها لورد بيكنسفيلد يقول انه أفلح فى خدمة هذه الملكة من حيث أخفق زميله ومناظره غلادستون ، لأنه كان يعاملها معاملة امرأة ولا يعاملها كزميلة

ومناظرة معاملة الملكات ذوات التيجـــان . وجاء « ليتون ستراشى » « فطبق » هذه القاعدة فى صفحات الترجمة كما طبقها بيكنسفيلد فى ديوان الوزارة ، وسمى من أجل ذلك بامام مدرسة التفريغ التى تسلمت فن التراجم والسير من مدرسة التقديس «والتطويب» . . . لأنها «تفرغ» التمثال الانسانى من حشو التكاليف والمراســـم وتبقى له « هيكلا » مجردا يدخل به الى ذمة التاريخ كما يدخـــل الكائن الحى الى حجرة « التشخيص » أو يدخل الجسد الميت الى مائدة التشريح ، وقد تسلبه بهذا التفريغ بعض زينته التى ينظر اليها الفنان ، ولكنها لا تعطيه فوق حقه عند الطبيب الخبير ولا عند المسجل الأمين .

* * *

ويعرف قراءة « أبسن » أنه أشهر المؤلفين المسرحيين «بالبطلات» أو بالشخصيات النسوية ، ومنهن « شخصيات » قد انتقلن من المسرح الى الحياة ، فأصبح الناس يذكرونهن كأنهن النماذج الحية التى تتلبس بهذه « الانسانة » أو تلك الانسانة بين القريبات والغريبات من نســاء البيوت ، ونساء المجالس المعهودة .

وهيدا جابلر أقوى هذه الشخصيات وأشهرها وأبغضها على الاطلاق . . . وهى ــ على هذا ــ انسانة معهودة تكررت فى الدنيا من قبل وتتكرر فيها بعد اليوم كلما تكررت تربتها التى تنبتها ، وهى « انســانة » حقــا فى صورتهــا التى ينبغى أن تكون عليها ، لأنها ترينـــا كيف تسلب المرأة « انسانيتها » اذا اســتبدلت بجمال التضحية الانثوية رذيلة الأنانيــة المضللة يغذيها الغرور والصلف وتنميها فتنة الاغراء والغواية ، فلا تقدر على شىء غير الهلاك والاهلاك ، واهلاك نفسها مع أقرب الناس اليهـــا وأولاهم بمحبتها .

أما كتاب چون ستيوارت مل عن استرقاق المرأة ، و «السيادة» على النساء فخلاصته أنه ــ وهو فيلسوف الديمقراطية ــ لم يشأ أن ينسى أن المرأة « انســـان » بعد أن وقف حياته وقلمه على تقديس حقوق

الانسان ... فهو منطقى « مع نفسه لا يزيد على تصحيح قضايا المنطق » كعادته ، حين يطلب للمرأة خلاصا ( قانونيا ) من ربقة الرق ، فى عصر يتفق ابناؤه على تحريم الرقيق بنصوص القوانين والدساتير .

وبهذا التنويع تجرى هذه المجموعة على سنة أخواتها السابقات فى الدعوة الى المعرفة ، وتتحرى ـ مثلهن ـ أن تكون دعوتها الى معرفة واسعة الأفق متعددة المقاييس ، وان ظفر موضوع المرأة منها بحصة الأسد ـ كما اسلفنا فى صدر هذا التقديم .

**عباس محمود العقاد**

# رسائل مدام دي سيفيني

## لمدام دي سيفيني

# مدام دى سيفينى

( ١٦٢٦ - ١٦٩٦ )

كاتبة فرنسية اختصت بفن كتابة الرسائل ، ولدت فى مدينـــة باريس . تزوجت من « هـنرى » مركيز سيفينى الذى قتل فى مبارزة سنة ١٦٥١ . أنجبت من زوجها ابنة تدعى فرانسـواز مارجريت وابنـــا يدعى تشـارلس . تزوجت الابنة من « فرانسوا ادميهـار » الذى احتل مناصب ادارية فى جنوبى فرنســا . وقد أتاح هذا الانفصال — للأم — فرصـــة لتبادل أشـــهر رسائل بين أم وابنتها وهى رسائل اعتبرها النقاد خير ما يمكن أن يصل اليه امرىء فى هذا الفرع من فروع الأدب الفرنسي . وقد سجلت الأم فى خطاباتهـــا كل ما عرض لها فى حياتها اليومية حتى تفيد منه ابنتها . وهذه الرسائل ذات قيمة كبرى من الوجهة التاريخية الى جانب ما امتازت به من سحر فى التعبير .

# تعريف بالكتاب

نشرت رسائل مدام « سيفينى » بعد وفاتها بنحو ثلاثين سنة ، وكان نشرها على التتابع مجموعة بعد مجموعة فى عدة طبعات ، فلم تكن مجموعتها الأولى تزيد على نيف وثلاثين رسالة ولم يزل هواتها والمعجبون بها ينقلونها عن مصادرها المتفرقة حتى بلغت مجموعتها الكاملة أكثر من ألف وخمسمائة رسالة ، معظمها مكتوب الى بنتها بعد زواجها واقامتها الطويلة فى الريف ، وبعضها مكتوب الى نخبة من العلية المثقفين والمثقفات، أشهرهم النبيل روشفكول صاحب الحكم والكلمات النادرة المعروف .

يقول بريزون وهو يفتتح الحوار التالى أنها رسائل متفرقة ولكنها فى جملتها كتاب من كتب الأدب الواقعى له حظه الوافر من الخيال والابتكار .

وتصف مس سرجيو كاتبة الرسائل فتذكر بين صفاتها البارزة ثلاث صفات لا يحتاج الكاتب الممتاز الى مزيد عليها ليرتفع الى القمة فى بابه وهى توقد الذهن وخفة الروح ، وأصالة التفكير .

ويكاد نقاد الأدب الغربى يجمعون على مكانة هذه الأديبة المتطوعة بين الأدباء المتطوعين والمتفرغين للكتابة ، فهى بغير خلاف كبير بينهم — سيدة كتاب الرسائل وكاتباتها فى عصور الأدب الأوربية الحديثة غير مستثنى من ذلك لابروير فى فرنسا ولاشستر فيلد فى انجلترا ، بل غير مستثنى منه بلينى الصغير فى الأدب اللاتينى القديم .

وهذه منزلة عالية فى أدب الرسائل البليغة لم تدركها الكاتبة بغير مؤهلاتها التى لا غنى عنها ، وينبغى أن نقول أنها استوفت جميع مؤهلاتها

من حياتهـا الشخصية ، ومن تعليمها الرفيع ، ومن دواعي عصرها في القرن السابع عشر على التخصيص .

ان شعور الأمومة هو « مصدر الوحي » الصادق في رسائل مدام سيفينى من مبعثها الأول في وجدانها ، وشعور الأمومة عاطفة مطبوعة في نفوس الأمهات جمعاء ولكن هذه الأم قد استفادته من تجارب حياتها كما استفادته من غرائز طبعها ، لأنها فقدت ابويها منذ طفولتها الباكرة ، وتزوجت في شبابها فلم تسعد في زواجها بغير محبة الأم لبنتها اليتيمة ، لأن زوجها المتلاف لم يلبث أن قتل في مبارزة عنيفة بعد أن كاد يقضي على ثروتها وثروته ، وكان لها ابن ظريف ولكنه متلاف كأبيه وعالة على أمه ، فاجتمعت شواغل حياتها كلها في عطفها المفرط على بنتها المفارقة ، لعزتها عندها ولاغترابها عنها ، وسرى هذا العطف المفرط الى الرسالة التي تكتبها لأنها لم تكن كلمات على ورق الرسالة بل كانت « شخصا » حيا بقلبه الخافق وصدره المعانق وحديثه الدافق ، وكانت تتدفق بقوة هذه العاطفة فتغنيها بلاغة « السجية » عن بلاغة التأمل والروية ، وربما صح وصف الكاتبة لرسائلها حين قالت أنها كانت تترك القلم « يركض وعنانه على عنقه » ... ولكن أمومتها « المفرطة » هي التي عوضت رسائلها أجمل العوض عن صقل الصناعة وأناقة التهذيب والمراجعة فتمت لها البلاغة التي تناسبها ، واستحقت ببلاغتها هذه أن ترتفع الى الذروة في هذا الفن الجميل بين كتاب الرسائل وكاتباتها .

ولا يسبقني الى الخاطر أن هذه « الأمومة المفرطة » أستغرقت حياة هذه الحسناء الأديبة فلم تدع لها شعورا بأحد من الناس غير شعورها ببنتها الغائبة عنها ... كلا ، فان الأرملة الحسناء ــ كما قالت صديقتها مدام لافاييت ( قد خلقت لمسرات الحياة وخلقت مسرات الحياة لهـا ) وكانت تحب حياتها وتحب شبابها وتشفق من اقتراب الشيخوخة اليها كما يتبين القارىء من بعض رسائلها ، ولكن شعور الأمومة قد كان بالنسبة اليها كأنه الحصن الذى اعتصمت بقداسته من دوافع العواطف

وغواياتها فكانت تمرح وتمزح وتعطى الزينة حقها كما تعطى الجمال حقه ، ولكنها عاشت فى معترك الفتنة بين قصور الملك وقصور النبلاء من نظرائها ونظيراتها دون أن تحوم حولها شبهة أو تعرف لها علاقة مريبة كأنما كانت عواطفها تتدفق وتضطرب لتنصرف كلها بعد ذلك الى مصرفها الوحيد فى رسائلها الى بنتها ، فلا جرم تتمثل فى هذه الرسائل كل حياتها وكل ما كانت تهتم به فى تلك الحياة . ولم يكن فى عصرها شىء لم يشغل اهتمامها المتيقظ شغلان الذهن المتوقد والنظرة الثابتة والذوق المهذب والطبع العطوف .

* * *

هذه العاطفة التى استوعبت حياة صاحبتها هى ينبوع من ينابيع الأدب « الرسائلى » لم يرزقه غيرها من الأمهات والآباء المشهورات أو المشهورين بهذا الفن الجميل ، ويوشك أن يكون فيه تفسير كاف لرجحانها عليهم باتفاق النقاد الغربيين . ولكنها كانت قد استعدت لهذا الفن بجميع مؤهلاته كما تقدم ، فلم تكن هذه المؤهلات « الحيوية » أعظم شأنا فى ترجيحها على نظيراتها ونظرائها من مؤهلاتها الأخرى ؛ ومنها مؤهلات الثقافة ومؤهلات العصر ومؤهلات الموضوع .

فقد كانت مدام دى سيفينى تحسن قراءة اللاتينية والايطالية والاسبانية فضلا عن لغتها الفرنسية التى تعلمتها بالدرس والمحادثة مع ابلغ المتكلمين بها فى زمانها ، وكانت تقرأ باللاتينية كوينتليان وتاستيس واغسطين ، وتقرأ بالايطالية والاسبانية دواوين شعرائها المبرزين ، وانتفعت بذوقها فى المطالعة كما انتفعت بدراستها واتقان لغاتها ، ويفهم من تعليقاتها على مطالعاتها أنها كانت تؤثر البساطة المطبوعة على الفخامة المصطنعة فى أدب كل لغة عرفتها ، ولهذا كانت تفضل كورنيل على راسين .

أما أثر العصر فى توجيه ملكتها الأدبية فمرجعه الى نهضة القرن السابع عشر فى البلاد الفرنسية على عهد الملك الشمس لويس الرابع عشر . ففى هذا العصر نشأت آداب المحادثة وآداب المراسلة بين العلية

من النبـــلاء والنبيلات ، وانتشرت الأندية التى يتنافس ســيداتها فى اجتذاب روادها من أعلام الأدب والفكر وعشاق البلاغة والفصاحة وقام فى كل اقليم من أقاليم الريف حول قلاع النبلاء والنبيلات بلاط مهذب ينظر الى بلاط باريس ويقتدى به فى مظاهر الجاه والمعرفة . وراح سكان العاصمة وسكان القلاع بالأقاليم يتسابقون الى تجويد صناعة الحديث وصناعة المراسلة والرواية عن الكتاب والمتحدثين ، وربمـا كانت قراءة الرسالة وقراءة الجواب مادة المحادثة والمناظرة فى مجالس الأنديةالتى اشتهرت باسم الصالونات ، ويرجع الى هذه الفترة شيوع الرسائل التى تكتب ــ أصلا ــ لبسط الآراء الفلسفية والتعليقات الاجتماعية على مثال رســائل ڤولتير ، وقد سبقه اليها نخبة من أئمة الأدباء فى القرن السابع عشر ، مع الفارق فى التعمق والتفصيل .

ومزية الموضوع سبب آخر من أسباب ترجيح هذه الكاتبة على كتاب الرسائل وكاتباتها فى عصرها . فليس كل ما كتب فى ذلك العصر من رسائل البلغاء صالحا لترجمة العصر كله كما ترجمته رسائل مدام دى سيڤينى ، ولو لم تميزها جودة الكتابة بهــذه المزية لكانت الكثرة وحدها كافيــة لترجيحها فى تصوير العصر على جميع معاصريها ومعاصراتها . لأنهــا كتبت ألف رسالة وخمسمائة خلال ثلاثين سنة ، وضمنت كل رسالة منها كل ما ترويه المرأة الذكية من ثرثرة المجتمع واحاديثه بين صفوة اهله علما ودراية ورياسة واطلاعا على حقائق الأحوال العامة فى فرنسا وغير فرنسا ، وضمنتها مع هذه الأخبار العـــامة تفصيلات شتى عن قصص الأسرة وزوارها ومعارفها وعما يرويه هؤلاء لجلسائهم من شئون البلاد وشئون السادة والأتباع من أبنائها ، فليست الرسائل التى تكتب على هذا النحو بريدا « بيتيا » بين أم وبنتها ، ولكنها كما قال بريزون فى فاتحة الحوار « كتاب » محيط بأحوال فرنسا وأحوال العالم المتصلة بها خـلال القرن السابع عشر . ولعله العصر الذى نعرف فيه عن بوادر الثورة الفرنسية ودواعيها مالا نعرفه من أحوال عصر آخر ، ونعرف ذلك على غير قصد

للدعوة الى جانب مع الثورة أو عليها ، بل على غير علم من الكاتبة بمصير هذه البوادر الى عواقبها ، فيزيدنا ذلك وثوقا بصدق الرواية وصحة العلاقة بين مقدمات الثورة ونتائجها .

* * *

ويقول بريزون بحق ، ان الكاتبة « انسانية » تهمنا من رسائلها صبغتها الانسانية ولا تهمنا دقتها ، فيجيبه جيرار قائلا اننا نقرؤها لهذه الصبغة قبل أن نقرأها لصبغتها التاريخية ، «لأنها تضفى على أخبارها تلك المسحة الانسانية فتجعلنا ندرك تفاصيل الحياة الصغيرة فى تلك الأيام » ولم يخطىء جيرار حين قال ان الكاتبة كانت لها نظرة فاحصة الى التفصيلات ولكنها« لم تكن تدرك ما يدور حولها من الناحية الاجتماعية» ويصيب بريزون حين يجيبه مستدركا أنها كانت تدرك الطبيعة الانسانية بين أبناء النخبة الممتازة « اذ كانوا على الرغم من كل شيء ذوات بشرية » .

وقد نرى أن وصف الرسائل بالصبغة الانسانية يجيء فى موضعه من كلمات لأدباء الحوار ، فانهم أحرى أن يبعدوا عن هذه الأم العطوف مظنة التقصير فى فهم الناس على تفاوت طبقاتهم بين أبناء عصرها ، لأنها لم تفهم أولئك « الناس » جميعا كما فهمت أبناء طبقتها ، ويعود هذا التقصير الى انقطاع الصلة قبل أن يعود الى انقطاع العاطفة أو الى قصورها عن تلبية دواعى الانصاف والرحمة ، ولسنا ندرى أين يكون عطفها لو انها عاشت اليوم بعد تلك الثورات الاجتماعية التى تلاحقت من أوائل القرن الثانى عشر الى أيامنا هذه بعد أواسط القرن العشرين ولكنها عاشت فى زمن لم تتخذ فيه شكوى المجتمع صبغة الحرب فى سبيل الحقوق الانسانية المشتركة بين جميع الطبقات ، فلم تفهم من طبيعة الانسان غير صورتها القريبة اليها ولكنها فهمتها « صورة انسانية » كيفما كانت الحال .

**عباس محمود العقاد**

# الحـــوار

## (١) دانيل جيرار . (٢) ليزا سيرجيو . ليمان بريزون

بريزون : ارى أن الفرد يجب أن يكون لديه نوع من الأرق الخاص حتى يقبل على قراءة الرسائل والمذكرات ولكنى أعترف أن قراءتها تضفى على سرورا غريبا . ان قراءتها تفتننى وتغرينى . أحس عندما أقرأ رسائل أو مذكرات ، أننى أدرك ضربا من الحقيقة لا أدركه حتى عند قراءتى لأعظم الأعمال الأدبية خيالا وابتكارا . وليس هـــذا الشعور حقيقا بطبيعة الحال . فأنا على ثقة من أنه يوجـــد فى كتابات مدام دى سيڤينى من الخيال والاختراع مثل ما فى الروايات الفرنسية لكن قراءتها تشعرنى دائمـا بأننى أقترب الى شخص من الأشخاص ، فاذا تعلـق الأمر بشخص كهذا ، كان الأمر جديرا بالقراءة . حسن . ان خطابات مدام دى سيڤينى تؤلف كتابا ــ أو بالأخـرى كتبا كثيرة .

سيرجيو : أى نعم . ان رسائلها تربى على ما يوجد فى كتب كثيرة . ان هذه السيدة النابهة التى كنتأقرأ لها كثيرا عنـدما كنت بالمدرسة ــ اذ اعتدنا أن نقرأ لها ونحن فى موطننـا فلورنسـا ــ انما تضفى علىّ سرورا عظيما ، لأنهـا فى

---

(١) Daniel Girard أستاذ اللغة الفرنسية بكلية المعلمين التابعة لجامعة كولومبيا .

(٢) Lisa Sergio معلقة اذاعية ومحاضرة .

الحقيقة تمثل ذلك النوع من الرواد الذى أحاول أن أكونه . لقد كانت محللة انباء .

بريزون : محللة انباء يامس سيرجيو ؟ لم يكن هنالك اذاعة ، ولم يكن هنالك جرائد .

سيرجيو : لم يكن هنالك اذاعة ، ولم يكن هنالك معلقون ولكن أرجو أن توافقنى يا مستر بريزون على أنها كانت تتمتع بصفة ناقد الأحداث ، والمخبر الأمين ، والمعلق على أخبار المجتمع ، ذلك الذى يعلق بأمانة وبغير خسة . هى فى الحقيقة ذلك الطراز من الناس الذى نحاول أن نتفهمه ثم نفسر الأخبار على غراره .

بريزون : لقد كانت تتمتع بمجال أرحب من ذلك الذى يتمتع به ناقد الأخبار فى أيامنا هذه ، لأنها كانت تستطيع أن تكتب ما يحلو لها فى تلك الرسائل التى كانت توجهها الى ابنتها والى أصدقائها . ولكنى أدرك ما تقصدين . ولست أعلم أكانت مخبرة أمينة أم لم تكن كذلك .

جيرار : حسن . لقد وصفت فعلا ، يا مستر بريزون ، بعض الأحداث الهامة فى زمانها .

بريزون : بكل دقة يا مستر جيرار .

جيرار : حسن ، فقد روتها بعض الأحيان كشاهدة عيان . مثال ذلك أنها شهدت محاكمة فوكيه ، الذى فقد سمعته حينئذ ، واخبرت صديقها أنه كان داخل البلاد ، وأنه لابد سيعود للمحاكمة . ويلوح من قراءة ذلك أنها تمثل طريقة جد دقيقة وانسانية للأخبار .

بريزون : انها انسانية حقا وانها لخلابة . ولا افترض أن دقتها ذات شأن كبير ، ذلك بأنك لا تقرأ هذه الرسائل أولا من أجل أن تدرك وقائع التاريخ . أتفعل ؟

جيرار : كلا ، فليس الأمر كذلك . انهـا تضفى عليها المسحة الانسانية ، فتجعلك تدرك تفاصيل الحياة الصغيرة فى تلك الأيام . وانك لتدرك أيضا وبكل تأكيد ، بعض الأحداث التى كانت تجرى فى فرساى وفى البلاط الملكى ، كأسلوب النساء فى الملبس ، وما شابه ذلك .

بريزون : أى نعم ، فمن رسائلها ذلك الخطاب الرائع الذى تخبر فيه بتلك الأخبار العظيمة . أن تصفيف الشعر قد انخفض ، فكان عليها أن تكتب فى الحال الى سيدة فى الريف تقول لها « عليك أن تخفضى من ارتفاع تصفيفة شعرك ، لأن كل سيدة فى البلاط قد جعلت شعرها أقرب ما يكون الى جلدة رأسها » . أمر جد مثير ..

سيرجيو : أى نعم ، ولكنها لم تقتصر على هذا النوع من الأخبار .

بريزون : هل قصرت نفسها على شىء ؟ أكان هنالك موضوع لم تكتب فيه هذه السيدة ؟

سيرجيو : حسن ، فانك ان كنت تستطيع أن تسمى الناس وما يصيبهم من رد فعل نتيجة لأحداث الحياة موضوعا أو اتجاها نحو موضوع ، فانى أقول ان ذلك كان أهم ما يشغلها .

بريزون : الناس الذين هم من طبقتها ، يا مس سرجيو .

سيرجيو : عجبا ! وهذا ما كان يحدث دائما ، وهو أمر يجدر بالمرء أن يفصح عنه . فقد كان الفارق بين الطبقات شاذا جدا فى تلك الأيام .

بريزون : ينبغى علينا أن نعى أن تلك الأيام هى منتصف القرن السابع عشر ، أى قبل الثورة بمائة سنة ــ لكن زمجرة الثورة كانت هنالك دائما ، ألم تكن ؟

سيرجيو : عجبا ! أى نعم . حدث ذلك فى حكم لويس الرابع عشر ، الملك الشمس ، مثل كل الأشياء التى تصل الذروة قبل انحدارها الحتمى ، اختص ذلك العصر بضرب من الأبهة. وكانت تلك الأبهة مقصورة على طبقة مدام دى سيڤينى. كانت تفهم الناس حتى عندما تصف تصفيف الشعر . ولعلى أتذكر رسالة ــ لا أعتقد أنها ترجمت من قبل ، ولكنهــا تجول بخاطرى ــ فيها تقول : ؟ ماذا يؤثر فيك تغيير تصفيفة الشــعر يا عزيزتى . « ألم تقل لك قط زوجتك يا مســيو جـيرار » ينبغى على أن أذهب الى الحلاق ، انى متبرمة بكل شىء ، ولســوف أرتاح كثيرا اذا غــيرت تصفيفة شعرى ؟ » .

جــــيرار : أى نعم يا مس سيرجيو ، فهذا حق . لقــد كان لمــدام دى سيڤينى نظرة فاحصة من حيث التفصيلات ، ولكنها كما بينت من قبل ، لم تكن تدرك ما يدور حولهــا من الناحية الاجتماعية .

بريزون : كلا ، فانك عندما تقول « الناس » فأنت لا تعنى الفلاحين العاملين وانما تعنى الأرستقراطيين .

سيرجيو : أقصد البشر جميعا .

بريزون : النخبة الممتازة من طبقتها . لقد كانوا بالرغم من كل شىء ذوات بشرية أيضا .

جــــيرار : أى نعم ، وانك لتتذكر الرسالة التى استوصت فيها بحاكم مقاطعة بريتانى لأنه أخمد عصيانا شديدا قام به الفلاحون على الملك . لم تكن تعطف على الفلاحين . بل على الضد من ذلك ، شقوا عصا الطاعة على الملك ، وكان الملك آلها ــ وهذا هو القانون .

بريزون : وعلى الرغم من ذلك ، فقد حدث هذا يا مستر جــيرار

فى الزمن الذى كتب فيه « لابروبير » وهو من طبقتها ، ذلك الوصف المرعب لحياة أولئك الفلاحين ـ تلك البهائم التى هربت من الشمس الى كهوفها فى المساء ، لا تعرف غير الكدح والسعى ولا تحصل على شىء حتى مما كسبته أيديهـا ـ أنها لم تكن تدرك ذلك ، ولم يؤثر فيهـا قط أمر كهذا ، وهى ليست قاسية بقدر ما فيها من عدم المبـالاة .

سيرجيو : لا أقول هذا دفاعا عن السيدة ، ولكن لأن هذه حقيقة لا يدركها المرء ادراكا تاما ـ حتى فى العصر الحديث ـ اذا لم يكن المرء ناشئا فى بلاد تسودها الفوارق الاجتماعية. انها لم تكن تعرف . كان ينقص علمها أن الفـلاحين يكدحـون بتلك الطريقـة ثم يهربون ، كما أعتقـد الناس طيلة هذا العصر كله ، والى أن حدثت الثورة ، على ما تقول ، بفكرة غريبة ذات صلة بعقيدتنا فى أن الله خلق الناس سواسية . كانوا مسيحيين فيهم كل الخير ، ومن البر الذى تنطـوى عليه المسيحية ، قد يأتون بأشـياء عظيمـة .

ولكن فكرة أن الرجل الذى ولد ليكون فلاحا ، له نفس الحق الذى لهـا فى أن يستحم ـ وهو أمر لم يكن فى مستطاعه قط ـ أو أن يكون عنده ملابس نظيفة ، فذلك لم يدخل رأسها قط . لم تكن رذلة أو قاسية ، ولكن ثبت فى وعيها من مخلفـات تلك العصور ، أنه لسبب لا يعلمه الا « الله » ، أن « أنا » ، كما كانت تدرك مدام دى سيڤينى ، « قد ولدت حيث يوجد العطر والمـاء والغذاء الطيب والخدم ، وولد الآخـرون ليعيشوا فى كهوف ، وليس لأحـد أن يناقش ارادة الله » . فاذا

استطعت أن تدرك هذا المفهوم المفزع للحياة ، اذن لتبينت قيمة رسائلها ولما تأثرت بذلك العجز الكلى عن فهم الأوضاع الاجتماعية ، ذلك الذى يحدثنا عنه مستر جيرار.

بريزون : اذا تغاضينا يا مس سيرجيو بطريقتنا الحديثة المتواضعة عن أنها لم تكن الا وليدة طبقتها ، فأى شيء فى هذه المراة هو حيث تظنين من قوة الفتنة والاغراء ؟

سيرجيو : كانت تتصف بأصالة ذهنية . ان تعليقها على كل شيء تراه ، دقيق ثاقب .

بريزون : كانت متوقدة الذهن . ألم تكن كذلك ؟

سيرجيو : توقد ذهن وخفة روح هائلة .

بريزون : كانت ماكرة بعض الأحيان ـ هذا بالمعنى الفرنسى أكثر مما هو بالمعنى الانجليزى ـ ولكن بدماثة وبخبث . فهى دائما تسخر بعض الشيء من أرستقراطيى الريف ، انهم يغالون بعض الشيء . هى من باريس ، وبالرغم من أنها تحب حياة الريف ، وبالرغم من أن ابنتها التى كتبت لها كثيرا من هذه الرسائل هى زوجة حاكم احدى المقاطعات، فانها سيدة عظيمة جدا . لم تكن سيدة ذات ثراء خاص، ولكن كانت دارها فى باريس ـ وهى متحف الآن ـ من كبريات الدور . فقد كان يحضر اليها الملك ويتحدث اليها عن تمثيليات راسين . لقد كانت سيدة عظيمة .

جيرار : اتتذكر يا مستر بريزون احدى الرسائل التى كتبتها بعد أن شاهدت النار التى أتت تقريبا على منزل جارها الثرى المواجه لدارها ؟ تقول فى ختام رسالتها انه لو لم تكن مأساة النار عظيمة ، لكانت رؤية هؤلاء الارستقراطيين مضحكة وهم يخرجون بملابس نومهم ، وليس على أبدانهم من الملابس غير القليل .

بريزون : اى نعم ، فقد وصفت هؤلاء الناس وصفا عظيما وهم بنصف ملابسهم ــ أولئك الذين يكونون فى العادة بشعورهم المستعارة وملابسهم الضيقة وأرديتهم الحريرية . كانوا مثارا للضحك كما وصفتهم . ان مسحة الخبث لا تفارقها . ولكن هذا أكثر من خبث وأكثر من ملاحظة . لقد كانت تتمتع بقوة دراماتيكية عظيمة . أليس كذلك ؟ قصة الطباخ الذى قتل نفسه لأنه ظن انه سوف يخفق فى تقديم نوع الغذاء الذى يليق بالملك ؟

سيرجيو : اى نعم ، أرسل رجالا ليحضروا السمك ، ولكن الرجال الذين ذهبوا لشراء السمك لم يعودوا الا بعد أن قتل نفسه .

بريزون : كان كبير الطباخين ، ولا يستطيع أن يعيش فى ظل العار .

سيرجيو : وحتى فى هذا الوصف ، فانك تدرك ما ذكرت من قبل ، ان فى ذلك مسحة خفيفة من السخرية . قتل الطباخ نفسه . انسان قتل نفسه من أجل سمكة لم يحصل عليها .

بريزون : هنالك شىء جد غريب يا مسس سيرجيو ، هو جزء من تلك الصفة المغرية الخلابة التى تختص بها مدام دى سيفينى . ففى نفس الوقت الذى تسخر فيه من الطباخ الذى قتل نفسه من أجل وجبة طعام ، تدرك أنه طباخ وأنه أعظم طباخ فى فرنسا . وكان اخفاقه فى اعداد وجبة طعام أمرا مخلا بشرف المهنة بالنسبة له . انها تدرك ذلك ، ولكنها ترى أنه أمر مضحك أيضا .

سيرجيو : ذلك هو السبب الذى من أجله تحس بالقيم فيما يتعلق بالناس . الا ترى أنه يظهر فى جميع خطاباتها احساس بما هو ذو قيمة وبما هو تافه ؟

جيرار : وقفت ذلك الموقف عينه عند وصفها موت « تارنس » بقذيفة شطرته . تصف لك المأساة كما وقعت ، ثم تشفعها بلمحة من السخرية قائلة : ان رجلا عظيما قضى نحبه . ومهما يكن من أمر ، فلو لم يمت ، لكان النصر أعظم .

سيرجيو : وبما أننا نتكلم عن النصر ، فهل لى أن أستشهد يا مستر بريزون بفقرة من احدى رسائلها تدل أيضا على افتقارها الى الاحساس الاجتماعى . انها ليست قاسية ، ولكن ذلك كله كان نموذجا صارخا لعصرها . جاء نصر ما ، وهى فى ذلك تقول « نعتقد أننا فى الحقيقة حصلنا على هذا النصر بثمن كبير . كلا ثم كلا . فهو لم يكلفنا غير بعض الجند ، وليس من بينهم واحد من أصحاب الألقاب . هذه هى السعادة الكاملة فى الحقيقة » .

بريزون : اذا كنت تستطيع أن تكسب انتصاراتك بقتلك الجند العاديين فحسب من غير أن تفقد أى من النبلاء ، فذلك منتهى السعادة . أفى ذلك شىء من الخبث ؟ أكانت تدرك انها تسخر ؟

سيرجيو : كلا ، انها لم تدرك ذلك .

بريزون : أترى أن ذلك كان طبعها ، أكانت هذه حقيقتها ؟

سيرجيو : بكل تأكيد . لقد ترعرعت فى وسط ، لا تشاهد فيه أناسا بغير ألقاب .

بريزون : لم نقل شيئا قط عن الصورة الأخرى لشخصيتها ، التى أفترض أن انسانا لا يمكن أن يكون فى الحقيقة كاتبا بدونها — وكانت كاتبة كبيرة — الا وهى العاطفة . لقد كانت كلفة حتى الجنون بابنتها . فقدت زوجها وهى لا تزال شابة صغيرة ، وكرست حياتها لطفليها — ثم أليس من المهم أن نذكر أنها كرست حياتها لطفليها ، وأنه لم

يستشم من حولها أى ريح من رياح الفضيحة ، وهى تعيش فى حاشية فاسدة كل الفساد .

سيرجيو : مطلقا . تصور أن رجلا واحدا أراد أن ينشر من حولها ريح الفضيحة ، فرده عن ذلك النساء المعاصرات لها وانتصرن لها ، حتى لقد وصم فعلا بالخزى والعار وكن يحترمنها احتراما كبيراً . هذا ابن عمها ، وكان يتبودد اليها كثير من الرجال على التأكيد ، وكانوا راغبين فى الزواج منها وكانت تستطيع أن تتزوج أيا منهم . ولكنها كانت تحس بأن عليها مسئولية تربية ابنها وابنتها وتكرس حياتها لهما . وذلك رغم أن زوجها لم يكن رجلا ناجحا على الاطلاق .

بريزون : لم يكن ابنها ناجحا كذلك .

سيرجيو : أى نعم لسوء الحظ . ولكنها ما كانت لتعرف بادىء الأمر انه سوف يكون كذلك ، وهى لم تكن غير أرملة صغيرة فى العشرين من عمرها . لقد جعلت تربية طفليها الغرض الوحيد من حياتها . لقد أحبت ابنتها حب العبادة .

بريزون : ومع ذلك فهنالك ذلك الموقف الغريب المعبر الذى ينهرها فيه ذلك القس الذى كانت مغرمة به جدا ، وكان رائدها وصديقها الوفى حين يخبرها انها تفرط فى حبها وان عبادة الأشخاص حتى ولو تعلق ذلك بابنتها فانما هو خطيئة كبرى . ماذا تقول عن حب كهذا اليوم ؟ أيدل على الصحة العقلية .

جيرار : انه لا يبدو صحيا على الاطلاق فى نظر طبيب نفسانى حديث ، ولكننا نستطيع أن ندرك كيف يتفق أن يكون حب

الأمهات مبالغا فيه ومع ذلك يبدو طبيعيا ـ أو أن يكون طبيعيا ويبدو مبالغا فيه .

بريزون : قد أقول يا مستر جيرار انى سعيد أنه لم يكن هنالك أطباء نفسانيون فى ذلك العصر لمعالجتها ، والا لفقدنا كتابا من أعظم الكتب العالمية .

سيرجيو : اذن لأرسلوا بها الى أحدهم بكل تأكيد .

بريزون : لاشك فى أنهم كانوا يفعلون ذلك . ولكن كم فى ذلك من الافراط فى أساليب ذلك العصر ؟ فبالرغم من أنها كانت تتصف بالحدة والقسوة ، فانها كانت تتصف أيضا بالقدرة على نوع من العاطفية الهادئة والحساسية الفياضة .

سيرجيو : أنت تعلم يا مستر بريزون أنه لم يكن لها رفيق فى الحياة .

بريزون : كلا ، ولم يكن لها أصدقاء أيضا .

سيرجيو : لا رفيق حقيقى . أما اذا كان مسيو « دى سيفينى » رفيقا حسنا لها أم لم يكن ذلك ، فذلك أمر آخر . وقد توفى فى مبارزة ، ثم لم يكن معها فى منزلها أحد تأتنس بالحديث معه كل يوم . انك عندما تستيقظ فى الصباح وتبدأ فى ارتداء ملابسك ، تتكلم مع الشخص الذى تعيش معه عن الأشياء الصغيرة ، أو تطلق العنان لغضب فى نفسك أو لشىء مثير . لم يكن لديها أحد .

بريزون : كم كان ذلك من حسن حظنا .

سيرجيو : كتبت ذلك كله فى رسائل . وهنالك فصل واحد تشرح فيه لصديق ـ وليس لابنتها ـ كيف تكتب هذه الرسائل . قالت « أرسل شعورى على سجيته يسطر سطور الرسالة كلها ، واحتفظ بذلك حتى النهاية . انا لست كاتبة رسائل ، بل أروى ما اعرف وما ارى وما يجول بخاطرى » .

ولكن الحقيقة أن ذلك العصر انما كان العصر الذى كانت فيه كتابة الرسائل جزءا من التعليم كمعرفة الجمع والضرب فى أيامنا هذه . أتعلم أن مهنة سكرتير خاص كانت مريحة جدا ؟ لقد كان الناس يؤجرون سكرتيرا خاصا يكتب لهم رسائلهم ، فاذا ابتزوا كل ما عنده ، استغنوا عنه . ولكنهم كانوا يكتبون جميع الرسائل بما فى ذلك رسائل الحب .

بريزون : وفى ذلك العصر كنت تستطيع حتى شراء كتب عن كيفية كتابة رسائل قيمة .

سيرجيو : نحن نظن أننا فى أمريكا متخصصون فى ذلك النوع من الكتب الذى يصف لك كيف تفعل هذا أو ذاك ، اما فى فرنسا فقد كان هذا النوع من الكتب ، شائعا تماما فى ذلك الزمن ، وكان أكثر الأشياء التى تباع بسرعة فى الأسواق .

جيرار : كان ذلك شائعا فقط بين الطبقة العليا .

بريزون : ان الطبقات الدنيا لم تكن تعرف لا القراءة ولا الكتابة .

جيرار : صحيح هذا .

بريزون : ولكنها لم تكن تعتبر نفسها كاتبة رسائل . وبمعنى آخر لم تكن تكتب رسائلها من أجل الأدب .

سيرجيو : ولكنها لاشك كانت تعرف أنها كانت تكتب رسائلها لتنشر ، فرسائل الناس جميعا كانت تنشر فى تلك الأيام .

جيرار : هل لى أن أعارض ؟ لا أظن ذلك يا مس سيرجيو . ان رسائلها لم تنشر حتى سنة ١٧١٥ أو سنة ١٧١٦ حتى نشرتها حفيدتها . انى لعلى يقين من أنها كانت لا تكتب للنشر . كانت تعلم أنها تكتب لأفراد العائلة ، وكانت الرسائل فى هذا العصر تنتشر فى دائرة كبيرة وتقرؤها

أوساط كثيرة نوعا ما . ولكنهـا كانت تكتب كما تقولين كيفما يسيل الحبر من قلمها بطريقــة طبيعية وليس لمن يأتى بعدها من الأجيال .

سيرجيو : اتظن ذلك ؟

جــيرار : نعم ، فهذه هى قوة رسائلها أو عظمتها .

بريزون : ولكن عرف كثير من الناس رسائلها ، ولو أنها لم تنشر . ألم تتمتع بشيء من الشهرة فى زمانها يا مستر جيرار .

جـنـيرار : أى نعم ، تمتعت بشهرة فى أخريات حياتها حوالى سنة ١٦٩٠ .

سيرجيو : كانت رسائلها قد تداولت .

بريزون : كانت تعرف معظم أدباء عصرها .

جــيرار : أى نعم كانت تعرفهم .

بريزون : كانت تنتقل فى هذه الأوساط الأدبية . ويلوح أن فولتير كان يخدش ذوقها الأدبى بشيء من النفور ، ولكنها فى الواقع كتبت عن كتاب عصرها بكثير من الفهم وقــوة الادراك والفراسة .

جــيرار : فعــلا .

بريزون : لقد أحست عظمة الفن الفرنسى فى القرن السابع عشر ، من موسيقى رفيعة وهندسة معمارية فائقة وبقريحــة وقادة . كانت هذه الأشياء تفعم نفسها ، وكانت هى طرازا من ذلك .

سيرجيو : كان يزورها رجال من طبقة موليير ، ويقرأون المسرحيات ، وكانت تناقشهم وتنصحهم ، ولها رسائل تصف فيها كيف كان يحضر موليير الى دارها ليقرأ لها هذا أو ذاك .

بريزون : أكانت تبصره بالمواقف المرحة أو غير المرحة فيما يعرضه عليهــا .

سيرجيو : أى نعم ، فانها كانت أحصف من ينقده ، وكانت الأمور تجرى تقريبا على غرار ما يحدث الآن . فأنت عندما تحاول أن تجمع أموالا لتمثيل مسرحية فى برودواى ، فانك تحصل على مجموعة من الناس وتقرأ لهم أصول المسرحية وترى ما يبدو عليهم من انفعالات . وفى تلك الأيام لم يكونوا فى حاجة للحصول على المال لتمثيل المسرحية ولكن كان لابد من الحصول على انفعال الجمهور . ولذلك كانت تجمع من حولها بعض الظاهرين فى المجتمع ، من أولئك الذين يتمتعون بذوق اجتماعى أو من أولئك الذين لهم ذوق فنى . وكانت تنصح موليير ببعض التغييرات . ولقد ذكرت ذلك فى كتاباتها .

جيرار : أتستطيعيين القول يا مس سيرجيو أن رسائل مدام دى سيفينى كانت موضوع الحديث عند الطبقات العليا فى المجتمع ؟

كانت تأخذ مكان التليفون . فاليوم لا يستطيع احد أن يعرف كم هنالك من مدام دى سيفينى ، ينقلن جميع أنواع تلك الأخبار والدرامات والاشاعات وما تجول به القرائح فى التليفون ، ولا يعلم بذلك أحد غير ذلك الذى يستمع على الطرف الآخر .

سيرجيو : لقد فقدنا فن كتابة الرسائل فى العصر الحديث بالقدر الذى فقدنا به فن المحادثة . واننا لنشعر بفقداننا لذلك فى أثناء الجلوس حول المائدة بعد العشاء — والمائدة بفضلاتها كما هى — والاستمرار فى شرب القهوة أو النبيد أو أى شىء آخر على المائدة حتى الثانية أو الثالثة صباحا ، فى مناقشة أفكار لا نهاية لها . لى أصدقاء فى فرنسا أو فى أيطاليا يفعلون ذلك دائما . ولكننا نميل الى تجنب هذه العادة فى كل مكان .

بريزون : اتقصدين القول ، يا مس سيرجيو ، أن الاغراق فى وسائل الراحة الحديثة قد قضى على هذا الشطر من الحياة ؟

سيرجيو : أخشى أن أضطر الى الاعتراف بذلك . فان احدى هذه الوسائل الحديثة تساعدنى على كسب معاشى ، ولذلك فأنا لا أريد القضاء عليها .

بريزون : كم يشعر المرء بأسف لفقدان نوع من المدنية نراه فى ذروته ممثلا فى هذه المرأة ؟ ان كتابها يمثل لى فى الحقيقة خصية فريدة من نوعها ، من حيث أننا أمام واحدة من أكبر كتاب فرنسا . هذا صحيح ، أليس كذلك يامستر جيرار ؟

جيرار : اى نعم ، هذا صحيح .

بريزون : ها هى ذى واحدة من عظيمات الكتاب ، ولو أنها بمعنى ما ، لم تكن كاتبة على الاطلاق . كانت تكتب ما يجول بخاطرها ، وتكتبه فى غالب الأحيان لابنتها التى كانت تحبها حب العبادة . واذن فهنا بمعنى آخر تصوير لشخص استوعب مدنية عظيمة وعبر عنها . فتلك صورة الشخص الذى ينتمى الى أعظم المجتمعات الأرستقراطية ، والذى لم يكن هو نفسه خلاقا مطلقا . لقد كانت مقدرة عظيمة للأشياء .

سيرجيو : انها مصورة وانها لرسامة انطباعية لكل ما يدور من حولها .

بريزون : هذا صحيح ، ولكن ذلك لا يظهر الا تلك العظمة . كانت ثمرة فاخرة لمجتمع تمثل فى احساسها وقريحتها ونبوغها الأدبى وعبقريتها ومسيحيتها الطاهرة ، وتكريسها حياتها بشغف لطفليها . وكذلك فى فضيلتها .

جــيرار : أى نعم ، فقد جعلت كل شيء واضحا لا مبالغة فيه ، فهى لم تظهر فى رسائلها أى طابع للسطحية أو التأنق بمثل ما نجد فى كتابات غيرها من نساء ذلك العصر .

بريزون : كيف يتذوق شخص لغته الأصلية هى الفرنسية ، كما هى لغتك يا مسيو جيرار ، قراءة رسائلها ؟

جــيرار : انها تلوح حديثة للغاية عندما تقرأها اليوم ، انها بسيطة جدا . هى كماء ينساب من غدير .

بريزون : أيمكن ترجمتها ؟

جــيرار : أى نعم ، وانها لتنقل الى الانجليزية معنى البساطة واستقامة القصد نحو الملاحظة . . . انها كذلك بكل تأكيد.

بريزون : وهذه السلسلة من الأفكار . أحب الفصل الذى تكتب فيه الى أحد أصدقائها ، تقول « انى متأكدة أن أحفاد الكروان الصغير الذى يعيش فى مزارعك سوف تغنى بطريقة أفضل لأنك عدت ثانية » .

سيرجيو : ولها فقرة تخبر فيها صديقا عزيزا بخطبة ابنتها وكانت قد بلغت الرابعة والعشرين ولم تتزوج ، فكانت بالفعل آنسة كبيرة . وهكذا وصفت الخطبة : « سوف أخبرك بخبر أنا متأكدة انه سوف يسرك . هو ان أجمل فتاة فى فرنسا سوف تتزوج ــ ليس بأجمل الشبان ولكن بأكثر الرجال جدارة فى المملكة . ان زوجات هذا الرجل قد توفين جميعا فأخلين الطريق لأبنة عمك ، وبتوفيق نادر مات أبوه وماتت أمه أيضا . ومع معرفتنا بأنه أكثر ثراء مما تصورنا وجدناه الى جانب ذلك بالميراث والمركز الاجتماعى والصفات الحسنة يتمتع بكل ما نتمنى ، فلم نعامله كما يتعامل الناس فى مثل هذه المناسبات ، ولكننا عاملناه بمقتضى أساليب الأسرتين . يبدو أن الناس

فرحون وهذا أمر عظيم لأننا من الحمق بحيث تخضع دائما لميول الرأى العام » .

بريزون : هذا نموذجى ، أليس كذلك ، لأنها تفصح عن انصرافها للأمور الدنيوية من ناحية ، ومن ناحية أخرى عن كفايتها فى أن تضحك على نفسها وعلى أولئك الذين من حولها لأنهم ينصرفون دائما الى الدنيا . وقبل كل شىء لم يكن هذا الرجل الذى تزوجته ابنتها غير نبيل طيب . أكان كذلك ؟

سيرجيو : كلا . ولا أرى أنه أسعد ابنتها . وانك فى الحقيقة ربما تجد فى ذلك سببا للمرارة التى أصابت ابنتها ، وفى عجزها عن الاستجابة الى انصراف أمها الكلى اليها وفى رغبة أمها الجارفة لأن تملأ حياة هذه الأبنة بأمور الحياة التى خلفتها من ورائها لتتبع الزوج . وربما تجد فى نقص هذا الرجل لكل الصفات التى كانوا ينشدونها ، السبب فى ذلك الشىء العظيم الذى خلفته لنا مدام دى سيفينى . هو تلك الرغبة الجامحة فى أن تجعل ابنتها تعيش الحياة التى لولا ذلك لعاشتها ولكنها لم تستطع .

بريزون : افترض أن هذا مثال آخر يا مس سيرجيو للحقيقة الماثلة وهى أن تعاسات هؤلاء الناس كانت من حسن حظنا .

# جين أير

لشارلوت برونتي

# شارلوت برونتي

( ١٨١٦ – ١٨٥٥ )

احدى أخوات ثلاثة انحدرن من أسرة برونتى ، واشتغلن بالأدب فانتجن أشهر الروايات فى الأدب الانجليزى فى القرن التاسع عشر ، وهن شارلوت واميلى وآن .

واكتنفت حياتهن ظروف أليمة ، اذ توفيت والدتهن بمرض السرطان ولما يتركن بعد مرحلة الطفولة . ولزمهن سوء الطالع فمات أفراد الأسرة جميعا وهم فى ميعة الصبا والشباب .

تلقت شارلوت تعليمها مع أخواتها فى مدرسة كليرجى للبنات ، ثم بقيت بالمنزل – بعد وفاة أختيها ، اليزابث ومارى بمرض السل – لتتعلم الفنون المنزلية .

وفى تلك الفترة عكفت على القراءة والاطلاع فجمعت فى جعبتها الكثير من المعلومات ثم التحقت فى عام ١٨٣٥ بمدرسة مس وولر فى روهيد ، ثم عملت مدرسة فيها بعد تخرجها .

وأهم اعمالها الأدبية رواية « الأستاذ » التى لم تلق نجاحا يذكر مما دفعها الى كتابة روايتها الثانية « جين اير » التى لاقت نجاحا كبيرا ، وبعد موت جميع اخوتها كتبت روايتها الثالثة « شيرلى » ثم روايتها الأخيرة « فيليت » التى تعتبر أروع ما أنتجت هذه الكاتبة العظيمة .

# تعريف بالكتاب

ماري ، واليصابات ، وشارلوت ، وباتريك برانويل ، واميــــلى ، وجين ، وآن .

هؤلاء هم الأخوات اللائي يحملن اسم برونتي : ست بنات وصبي واحد هو باتريك برانويل ، صاحب الاسم المستعار من أبيه ومن جــده لأن اسم أبيه باتريك واسم جده برانويل .

كان أبوهم راعي الكنيسة في البلد رجلا غريب الأطوار صارم الخلق ، عاش في شظف وفاقة على قدر مرتبه الصغير ووسائله المحدودة ، ولكنــه عاش في كرامة موفورة ، وفي استقامة ظاهرة باطنــة ، لا يشوبها رياء ولا ادعــاء .

وكانت أمهم ماري برانويل . فتاة ضئيلة الجسم ولكنها على نصيب من الوسامة ، وعلى نصيب مما هو أشرف من الوسامة وأرفع وأجدى ، وهو عزة النفس وطيب السجية ، تدل عليها مكانتها في قلب زوجها الكريم المستقيم ، ويدل على هــــذه المكانة أنه سمى وليدتهما الأولى باسمها ، وسمى وليدهما الوحيد باسم أبيها .

ماتت الأم بمرض السرطان قبل أن تتقدم الى سن الكهولة ، وبعد حياة معتلة في جهد وصبر واكتفاء بالقليل من العــلاج ومن ضرورات الحيــــاة .

وماتت الأختان الكبريان ـ ماري واليصابات ـ في سن الطفولة ، وعاش الصبي الوحيد الى سن الشباب ولكنه مات في عنفوان عمره بعد استنفاد شبيبته القصيرة في السكر والمجون .

أما الأخوات الباقيات اللواتي عمرن قليلا فقد كانت أطولهن عمرا

شارلوت ، لأنها ماتت سنة ١٨٥٥ وقد ناهزت الأربعين ، وعرفت أختاها الأخريان فى عالم الأدب . احداهما « اميلى » توفيت سنة ١٨٤٨ عن نحو ثلاثين سنة ، وشقيقتها آن توفيت بعدها بأربعة أشهر عن تسع وعشرين سنة .

ولم يتعلم الأخوات جميعا فى غير بيتهن ومدرسة صغيرة فى طبقة المكتبات الأولية ، وزادت شارلوت وأميلى بحصة من التعليم المتقدم بمدينة بروكسل ، فعرفتا اللغة الفرنسية معرفة حسنة تؤهلهما للقراءة فيها والاستفادة من مطالعاتها ، ولم تكسب كلتاهما شيئا من المال غير مائة جنيه لكل منهما ورثتاها عن خالتهما التى تولت تربيتهما بعد موت شقيقتها ، ولم يكن كسبهما من العمل يزودهما بشيء يزيد على الكفاف ، وأصلحه للكسب والراحة هو عمل المربية أو المدبرة المنزلية فى بيوت المتوسطين والمتوسطات من أشباه الفقراء ، لولا التستر بمظاهر الأغنياء فى تقاليد المعيشة .

وقد سجلت لنا أقلام الأخوات الثلاث اللاتى اشتهرن فى عالم الأدب أسماء الرجال والنساء الذين عملن معهم وراء العناوين القصصية المستعارة ، فاذا بهم جميعا مع قليل من الاستثناء متسمون بسمات الجد المفرط الى حد الصرامة أو سمات الغرابة الى حد الهوس أو سمات القلق الى حد الشقاء ... فليس فى شخوص الروايات والتصانيف التى كتبتها شارلوت أو اميلى أو آن ــ بطل واحد أو بطلة واحدة يلازمهما الانسان بغير صبر طويل وقدرة دائمة على الأغضاء والغفران .

ولما شرعت الأخوات الأديبات فى الكتابة لم يستقبلهن عالم النشر والتوزيع بكثير ولا قليل من الاقبال والتشجيع ، فاضطررن الى طبع الكتاب أحيانا على نفقتهن ، ولم يزد ما بيع من بعض الكتب على نسختين، ولم يحفل النقاد بما وصل الى أيديهم من تلك الكتب فى مبدأ الأمر . ثم كان الناقد الذى شذ عن هذه القاعدة الشاملة شرا على « المؤلف المزعوم »

من زملائه الصامتين ، لأنه وصفه بالقسوة والوحشية واصطناع المواقف التى تذهب بغرائب الطباع مذهب الاغراق والاستحالة .

ان قيمة المكتبة « البرونتية » عظيمة فى ميزان النقـد والأدب ، ولكنها ـ مهما يبلغ من عظمتها ـ تقصر عن قيمة الذخيرة الخلقية التى نستفيدها فى حياة كل شقيقة من هؤلاء الشقيقات النابغات ، ومن حياة الأسرة بأسرها بين النجاح والخيبة وبين الألفة والغرابة .

حيوات قصيرات لم تكد أطولهن أن تبلغ الأربعين .

حيوات مضت فى الضنك والصبر على الشدة والخشونة من الدنيا ومن النـاس .

حيوات لم تستعد للمعترك المرهوب فى عصرها بعدة من التعليم تزيد على النصيب المقدور لعشرات الألوف بين عامة النساء والرجال .

كيف تثمر حياة من هذه الحيوات ثمرة نافعة ؟

وكيف تبقى لها قدرة على الخلق والانتاج ولا تضيع كل الضياع بين مصائب الموت والسقم ومصاعب الضنك والقسـوة من الدنيا ومن النـاس ؟

هذه كلها آفات « سالبة » تهدم وتحطم ولا تساعد على بناء ولا بقاء .

فمن أين جاءت تلك القوة الموجبة التي قاومت كل ما أحاط بالفتيات الضعيفات من قوى الهدم والسلب وتركت لهن بعد ذلك فضـلا من القدرة على الخلق تعيش معهن وتعيش بعدهن ، وتعيش الى اليوم ؟

تلك القوة الموجبة هى الايمان الموروث والايمان المكتسب والايمان الحق بدعامة للحياة وأساس للخير فى الدنيا وفى النفس البشرية صالح للبناء عليه .

فهذا الانسان ناقص وتلك الانسانة ناقصة .

وهذا الرجل لئيم كفور وتلك المرأة سخيفة خرقاء .

هذا العمل ضائع وذلك الأمل خائب .

هذا الزمن مجدب مضطرب ، وذلك الزمن متخلف مدبر ، أو مستقر على الجمود والركود .

لكن هذه النقائص جميعا هى «النسخ» المغلوطة من الأصل الصحيح، وهى النقل الكاذب عن الصورة التى تكشف الكذب وتنفيه ، وتمنعنا أن نقبله ونزكيه ، لمجرد وجوده تحت نظر العيان ، لأن الصورة الصادقة موجودة أيضا وجودا لاشك فيه بين أطوار الضمير .

ولقد كان الايمان بهذه الدعامة الراسخة بعض ميراث الفتيات من خلائق أبويهن ثم تعلمن بالقدوة المحسوسة كيف يكون الرجل فى مكانة أبيهن بوظيفته الدينية ثم يقنع بما رزقه الله من كفاف العيش ويأبى أن يسىء الى مكانته الملحوظة بعمل من أعمال التبذل أو أعمال النفاق ، وكيف تكون المرأة فى ضعف أمهن ثم تروض بنيتها الهزيلة على متاعب المنزل ومطالب التربية وضرورات الحياة الاجتماعية ، وتتقبل قضاء المرض العياء بالصبر الذى يترفع عن الشكاية وبالتسليم الذى يتحرج من الشك فى الخير والتبرم بالحياة .

* * *

كانت لشارلوت صديقة كاتبة روائيـــة هى السيدة اليصـــابات ستيفنسون التى اشتهرت بعد زواجها باسم قرينها جاسكيل ، وكانت مثلها بنت راع للكنيسة ثم أصبحت زوجة راع لكنيستها وكنيسة أبيها . وهى الكنيسة التوحيدية ، وكتبت ترجمة وافية لصديقتها شارلوت نشرتها فى سنة ١٨٥٣ أى بعد وفاة الصديقة بسنتين مستعينة فى هذه الترجمة بما علمته وما سمعته من أبيها وما أودعه بين يديها من محفوظات الكنيســـة وسجلاتها ، فكانت ترجمتها هى المرجع الأصيل لحيـــاة شارلوت وأخبارها البيتية والأدبية ، وكانت فى عصرها كما كانت الى اليوم أوفى التراجم وأنفعها على الاطلاق .

ففى هذه الترجمة تروى المترجمة عن أسرة صديقتها أنها تربت على سنة « القناعة الرواقية » وتعودت الزهد فى ترف الغذاء والكساء ،

وكان العابر بدارها لا يشعر بأن فى الدار طفلا واحدا وفيها كل هؤلاء الأطفال الصغار وربما جلست أمهن مع الأطفال تقرأ فى صحيفتها وتخرج من الدار التى عكفت فيها على تربية صغارها وقراءة صحيفتها أو كتب صلاتها هى على اطلاع واف بكل ما يتحدث به المتحدثون اليها والمتحدثات عن أخبار العالم ومساجلات البرلمان ، ويجلس معها أولئك الصغار فى الدار فلا يزعجونها ولا تزعجهم فيما يتلهون به من شواغل اللعب والمطالعة ، لأن البنات — ومعهن أخوهن — يقضين الوقت بعد معاونة أمهن فى شئون الدار أما بالقراءة أو بعرض القصص التى يطلعن عليها ويلقين محاوراتها على ألسنة الأبطال والبطلات من التماثيل الصغار ، وكان تمثال القائد ولنجتون — بطل شارلوت المحبوب يخرج من جميع الوقائع منتصرا على خصومه ظافرا بأكليل الغار .

ولا يخفى أن الآداب البيتية — سواء جرت على سنة القناعة الرواقية أو على سنن التربية الحديثة — تختص البنات من أطفال البيت بأدب التحفظ والاحتشام لأنهن أمهات المستقبل وزوجاته والمشرفات على بيوته والآخذات فى تلك البيوت بزمام حياتها الاجتماعية ، ولا يعفى الصبيان من آداب التحفظ والاحتشام حيث تغلب على الأسرة وتشيع بين رجال البيئة ونسائها فى جملتها ، ولكنهم ينالون قسطهم من الحرية خارج البيت باختيار آبائهم أو بغير اختيارهم ، لأن حياتهم خارج البيت هى الحياة التى يتدربون لها ويعدهم العرف للمشاركة فيها على علاتها ...
وفى حالة هذه — الأسرة — أسرة برونتي — كان الصبى الوحيد باتريك برانويل ينال من هذا الاستثناء فوق ما يناله الصبيان عادة فى الأسرة المحافظة أو فى الأسرة المتحررة من تقاليد الصرامة الرواقية ، لأنه الصبى الوحيد بين ست بنات شقيقات ، يدللنه ويميزنه بينهن بالرعاية ، كما يدلله الأبوان اللذان غلبتهما فتنة هذا الحنان على صرامة « الرواقيين » ووقار المتدينين المتزمتين . وقد جنى عليه هذا التدليل ودفعته الحرية الخارجية الى « رد الفعل » الذى يجاوز بصاحبه حدود الحرية المباحة ،

فكان افلاته من القيود أشد من افلات الطليق الذى لم يعـرف المنع والتقييـد .

أما الأخوات الرواقيات فقد نجون من الفتنة بخير ما تعتصم به النفس البشرية بين عوامل الهدم والقلق ، وهو عمران النفس باليقين والأمل ، وأغناهن ما بينهن من العطف والرحمة عن التماس العطف المفقود عند الدنيا والناس ، فاحتملن من الدنيا والناس ما لا تحتمله النفس البشرية بغير ذلك اليقين وذلك الأمل .

والمرأة بما تأصل فى وجدانها من غريزة الأمومة مطبوعة على التضحية والغفران تعطى ولا تنتظر الجزاء وتحب وتقيس حبها بمقدار ما ترتضيه من ألم فى سبيله ، ولا يعطل فيها هذه الغريزة شىء غير فقدان الثقـة بالخـير فى هذه الحياة ، تطلب الخير فلا تجده ، وتطلب الثقة فلا تجدها ، فاذا انقلبت الى نفسها لم تجد ثمة غير « الأنانية المريضة » توشك أن تستمرىء الشر لذاته وأن تستمتع بالقسوة لذاتها ، وأن تطلب ما لا حاجة به وتضمن بما تستغنى عنه ، وأن تقابل التضحية بنقيضها من طرف الأنانية الممسوخة ، لأن التضحية تعطى بغير جزاء ، ولأنانية الممسوخـة تأخذ بغير حاجة .

ولقد تمت فضيلة التضحية فى الأخوات الرواقيات بغريزة الأنثى وعقيدة الايمان ، فاعتصمن بها من آفات الشدة والضنك ومصائب الموت والسقم ، وخرجن من تلك المصائب والآفات جميعا بذخيرتهن الموفورة الباقية وهى ذخيرة القدرة « الموجبة » على الخلق والانتاج .

ولقين الشر والأشرار فى دنياهن فكان الشر غذاء لرحمتهن يشعرهن بحياتها ، وكان الشرير عندهن مصابا يحتاج اليهن ولم يكن جـرثومة يبتعدن عنها ، فاذا ابتلين بشره كانت هتفتهن له : مسكين ، ما أشقاه ، ولم تكن هتفتهن : تبا له .. ما أظلمه وأقساه ..

وأغرب الغرائب فى قصة « چين اير » أن تشغف البطلة بالرجل الذى أشقاها دون غيره من زمرة الرجال حولها ، ولكنه ــ فى هذا الحساب ــ أول ما يخطر على البال وأقربه الى المألوف .

ولقد كان الهاما من « ألدريك » فى حواره أن يقول : « ان الصراع لا يبدو هنا بين النزعة الرومانتيكية فى ذاتها والواجب .. لأنها ليست نزعة رومانتيكية على الاطلاق ولكنها نزعة دينية ، وهى النزعة التى تبعث الطاقة فى الرواية وتعطيها مثل هذا السمو والقوة » .

ولسنا نريد أن نلخص الرواية فى هذه الصفحات لمن لم يقرأوها ، لأن التلخيص يذهب بخفايا ذلك التطور النفسانى العجيب الذى يتصرف بالعاطفة البشرية ــ مع طبيعة التضحية ــ فيتحول بها من النفور الى الاهتمام الى الاشفاق الى التعود الى الصفح والشغف وضعف العزيمة على الفراق .

ولكن حوار النقاد فيما يلى كاف لفهم خفـــايا السريرة البشرية فى طوية الكاتبة وطوية البطلة الروائية التى أعارتها كل ملامحها ، وقد نفهم كثيرا جدا من حياة الكاتبة وحياة البطـــلة اذا فهمنا معجزة الايمان بالجانب « الموجب » من الحياة الانسانية ، وفهمنا أننا ننتظر من هــذا الجانب وحده أن يبنى ويخلق ولو تضافرت حوله عوامل الهدم والسلب، لأن القدرة على « التضحية » تبتعث فى النفس ــ ولا سيما نفس الأنثى ــ غاية المستطاع من الاعطاء والتكوين .

**عباس محمود العقاد**

# الحـــوار

## (١)جون و • ألدريك • (٢) مارجريت وبستر • ليمان بريزون

بريزون : أسلم بأنى عندما مضيت أعيد قراءة جين اير ، أثارتنى بعض الشيء الصورة التى لابست فن الكتابة فى منتصف العصر الفكتورى ، وشعور الاستعلاء الذى كان عنوانا على رجال ذلك العصر ونسائه . وسرعان ما استهوانى هذا الكتاب أكثر مما استهوتنى كتب أخـرى من كتب ذلك العصر الفريد . ولقد تبين لى أنه صدم شعور من قرأوه منذ حوالى مائة سنة ـ ولم يصدم شعورهم لمجرد أن كاتبته امرأة وانما من اجل الطريقة التى كتبت بها عن احدى النساء . انه لواحد من تلك الكتب التى استوعبت البحث فى حالات النساء .

وبستر : لقـد احترت دائما فى معـرفة السبب الذى من أجله صدمت جين اير شعور معاصريها تلك الصدمة العميقة . وأرى أن سبب ذلك كان لصراحتها من ناحية ـ فلم يكن أحد ليتوقع امرأة فى صراحة جين اير ـ وبسبب ماهية الاحساس القائم بينها وبين مستر روشستر من ناحية أخرى ، ذلك الاحساس الذى ربما بدا بصورة

---

(١) John W. Aldrich أستاذ اللغة الانجليزية المساعد بجامعة فيرمونت ، ظهر له حديثا كتاب فى النقـد بعنوان« ما بعد الجيل الضائع »

(٢) Margart Webster ممثلة ، وتقوم باخراج مسرحية «سانت جون»التى تعرض فى نيويورك .

تكاد تكون عارية بالنسبة لمعاصرى الكتاب .

بريزون : حسن . لقد كان للنساء فى سنة ١٨٤٧ يا مس وبستر ، عواطف من المفروض أنهن لا يطلعن عليها أحدا .

وبستر : لقد كن يخفينها بعناية تامة .

ألدريك : اى نعم . وتتمثل المشكلة فى أن جين امرأة ترفض قبول التقاليد السلبية .

بريزون : ومع ذلك ، فهى يا مستر ألدريك ، صلبة حازمة كأية فاضلة . انها ترفض الزواج من مستر روشستر وتصبح زوجته الثانية بالرغم من حقيقة أنها تحبه حب العبادة .

ألدريك : أى نعم . انها تلتزم حدود طبقتها الاجتماعية على وجه عام غير أنها باعتبارها فرد تحس احساسا عظيما بجدارتها ، وترسم بطريقة خاصة جدا جميع الأحداث التى تحدد مصيرها . وانك لتشعر منذ الوهلة الأولى أن الرواية تعالج صراعا بين الأهواء الرومانتيكية والواجب .

بريزون : بين سيد عظيم ومخدومته الصغيرة .

ألدريك : أى نعم .

بريزون : وتلك فكرة رومانتيكية جدا فى سنة ١٨٤٧ .

وبستر : هى على هذه الصورة تبدو مطابقة تماما لمنتصف العصر الفكتورى ، ومع ذلك فهى ليست على الاطلاق كما عالجتها شارلوت برونتى ، فكتورية تماما أو متمشية مع العصر الفكتورى أو عاطفية ، كما انى لا أرى أيضا انها قصة حب رومانتيكى فى واقعها . أترى ذلك يا مستر الدريك ؟

ألدريك : كلا . فانها قد تبدو كذلك من النظرة الأولى الا أنك اذا فحصت الرواية فحصا دقيقا ، تدرك أن فيها شيئا أكثر

من ذلك ، وأن جين قد صُوّرت كذلك فى الحقيقة من أجل نوع من الحب لم يقم على مفاتنها الجسمانية كامرأة ـ فذلك ما لم تكن تملكه ـ وانما مؤسس على صفاتها الحقيقية .. خادمة ، وسيدة صالحة .

بريزون : أكلمة « خادمة » هى التى تعنيها بالضبط يا مستر الدريك ؟ ربما تقصد « خادمة » بالمعنى الفكتورى . اتعنى بذلك الشخص الذى يقدم خدمات حقيقية .

وبستر : الخدمة الكريمة ، الا ترى ذلك ؟

الدريك : تماما .

بريزون : ولكن أليس هذا فى الحقيقة احد الأشياء التى تلفت النظر فى هذا الكتاب مما يجعله فى مرتبة خاصة به ؟ فانك تدرك فيه الحبكة الميلودرامية المطابقة تماما للعصر الفكتورى ، ويصور لك الطفلة اليتيمة التى يؤذيها ابن عمها غير الشقيق ، ذلك الشرير .

وبستر : القريب الثرى .

بريزون : قريب ثرى . انها تذهب الى مدرسة ، انها تكاد تموت جوعا ، انها فتاة مشهزة ، تتصادق هى وبنات أخريات ، حيثما اتفق مع ملائكة صغار أو شياطين صغار . ثم تعمل مربية ، وتقع فى حب هذا الأسود الحاجبين ، مستر روشستر الرومانتيكى ، وكانت له زوجة مجنونة يخفيها فى علية منزله . انك ترويها بهذه الصورة فتبدو كأنما هى مأخوذة عن قصة أطفال خرافية .

وبستر : أى نعم ، غير أن جين لا تشبه سندريلا المعروفة . ان جين فيها أصالة من كل الوجوه خاصة بها . ويتبين هذا كما أرى فى الكتاب منذ بادى البداية وأظن ذلك فى الفصل الثانى عندما استجوب جين وهى بنت العاشرة ، الماكر

مستر بروكلهرست ، الذى أصبح غول المدرسة التى ارسلت اليها ـ عما اذا كانت طفلة خيرة أم شريرة ، وكان قد اخبر بأنها طفلة خبيثة ، فيقول لها : « أتعرفين ماذا يحدث للبنات الصغار الخبيثات » فتقول « أى نعم، يذهبن الى الجحيم » فيقول « وما الجحيم ؟ » فتقول « حفرة تفعمها النار » وعندئذ يقول « حسن . وماذا تفعلين اذن لتفادى ذلك ؟ » فتجيبه قائلة « حسن . ينبغى على أن أظل بصحة جيدة ولا أموت » . ان الخروج على العرف المألوف ينطبق تماما على جين اير فى الفصل الثانى وتستمر كذلك حتى نهاية الكتاب .

بريزون : أليس من أكثر الأمور غرابة أن هـذه الآنسة شارلوت برونتى التى كتبت الكتاب ولم تتجاوز الثلاثين وكانت قليلة الخبرة ، قد عرفت كيف تخلق فى حدود الاطار الميلودرامى المطابق تماما لعصرها ، هـذه الصورة الكاملة للفتاة بابعادها الثلاثة ، وتضفى عليها مثل هذه الحيوية والواقعية . هنالك ضرب من الخبث على ما يفهم من هذه الكلمة بالمعنى الحديث فيما يتعلق بما بثته شارلوت برونتى فى جين اير . على انى لا أقصـد الخبث بمعنى النقص فى الفضيلة .

وبستر : أتظن أن شارلوت وجين هما نفس الشخص ؟

بريزون : ان ذلك لأمر هام يجدر التفكير فيه . . أهما كذلك ؟

وبستر : أميل الى الاعتقاد بأن جين شخصية صارخة فى ذاتيتها ، ولا أقصد بذلك مطلقا التجاريب التى نقلت الينا ، وانما أقصد أنها امتداد للقدرات غير العادية وللخلق الغريب الذى اختصت به شارلوت نفسها .

ألدريك : أظن أن جين فى المعنى المطلق للابتكار الفنى ، انما تمثل

كيف تأصل فى نفس شارلوت ذلك الحنين العميق وقد وفقت الكاتبة فى ذلك على نحو لم يوفق اليه الا قصاصو الطبقة الأولى .

بريزون : لم يكن هذا الكتاب معروفا تقريبا فى ذلك الزمن . أليس كذلك يا مستر ألدريك ؟

ألدريك : اى نعم .

بريزون : ومع ذلك فانها حققت فى هذا الكتاب شيئا لم يحققه أحد من قبلها ، فبالرغم من أنها لم تكن كاتبة محترفة ذات خبرة ومرانة ، كانت مجرد فتاة صغيرة نشأت فى بيت راع من رعاة الكنيسة . ماذا تقصدين بخبرتها يا مس وبستر ؟ ان ما أثر عنها يدلنا على وجه العموم انها لم تكن ذات تجربة بالمرة .

وبستر : هذا بالضبط ما أعنى . فقد ذهبت كما يفترض الى مدرسة ما ، شبيهة بأدنى المدارس مرتبة جاء ذكرها فى هذا الكتاب ، غير أنه لا دليل هنالك على أنها قابلت قط من يدعى مستر روشستر ، أو أنها عاشت أحداث التجاريب التى وردت فى هذا الكتاب . الا أن قدرات شارلوت لابد كانت هى ذاتها نفس قدرات جين ، أما المعيار بأن جين كانت فريدة فى الأدب بالقدر الذى نسلم فيه بأنه لم يكن لها أسلاف ، فينبغى أن يكون نفس المعيار الذى يحدد القدرة الابتكارية الفريدة لشارلوت نفسها . الا ترى ذلك ؟

ألدريك : اى نعم . فقدكانت عندها القدرة لأن تنتفع بصورة كاملة بما كان لديها من تجاريب محدودة .

بريزون : ما الصراع الذى كنت تتحدث عنه يا مستر ألدريك ؟ ما هو فى أساسه ؟ ان الصراع بين الحب الرومانتيكى

والمبدأ انما هو بالرغم من كل شيء أقدم صراع اشتملت عليه القصص . كيف هو مختلف هنا ؟

ألدريك : يلوح لى أن الصراع لا يبدو هنا بين النزعة الرومانتيكية فى ذاتها والواجب . النزعة هنا ليست رومانتيكية على الاطلاق . انها نزعة دينية وهذه هى النزعة التى تبعث الطاقة فى الرواية وتعطيها مثل هذا السمو والقوة .

بريزون : ماذا تقصد « بدينى » فى هذا الصدد ؟

ألدريك : لقد تشبثت جين فى جميع مراحل الرواية بطاعة الله .

بريزون : وليس مستر روشستر ؟

ألدريك : أظن أن روشستر أصبح فى النهاية الرجل الذى يمثل الله فى نظرهـا ، فأصبح البديل الأرضى المقبـول للاله الروحى .

بريزون : أصبحت فروديا بعض الشيء الآن .

ألدريك : ربما أنا كذلك ، غير أنه من الطبيعى أن يغرى المرء بأن يجرى فى هـذا الكتاب على نمط فرودى . ونحن اذا كانت معلوماتنا عن شارلوت أكثر قليلا ، لاستطعنا أن نكون فروديين نحوها بصورة شائقة .

بريزون : حسن اذن . ولنفترض الآن أن هـذا الصراع انما هو صراع أساسى فى الكتاب . فعندما وجدت جين أن مستر روشستر سوف يتزوجها ( ومما لاشك فيه أنهما كانا متحابين كثيرا ) فيما لو لم تكن تلك المخلوقة الصاخبة المخيفة المجنونة فى عليّة المنزل هى فى الواقع الزوجـة الشرعية لمستر روشستر ، بالرغم من أنها زوجة شريرة جدا وتستحق الموت ولكنها لم تمت ، فان جين المعدمة التى لا حول لها ولا قوة ــ على هذا كانت النساء فى تلك الأيام ــ والتى ليس لها أى سبيل تسلكه بنفسها ، تخرج

بلا معين ولا نصير وتجازف بالعار وبالموت جوعا عن أن تصبح الزوجة الثانية للرجل الذى تحب . وهذا مايبدو فى ظاهر الأمر كأنه مجرد رفض لأن تستغل بطريقة بالغة الرومانتيكية والميلودرامية . وأنت تقول ان ذلك عن شعور دينى !!

الدريك : هو كذلك الى حد ما . انها تتبع المبادىء بطريقة تقليدية تماما . ولكنها خلف هذا الغطاء تريد أن تكون محبوبة من أجل ما تتمتع به من صفات الفتاة الفريدة . وانك لتتذكر كيف قاومت بعنف محاولات روشستر عندما أراد أن يردها تلك المرأة التى عرفها فى الماضى معدا اياها لحياة تكون فيها عشيقة . لم ترد هذا . لقد أرادت دائما كما أرادت شارلوت أن تكون محبوبة من أجل شخصها ومن أجل الصفات التى أظهرتها لروشستر .

بريزون : ومن أجل المزايا التى تستطيع منحه اياها .

ألدريك : من أجل المزايا التى تستطيع منحه اياها .

بريزون : ومن ثمة فانه عندما أقفل البـاب فى وجه روشستر ، وجدت هى فرصتها سانحة .

ألدريك : على وجه الدقة . والآن لم يعد الأمر بعد يتعلق بحياة تقودها الشهوة الجسمانية . بل انها أضحت حياة تضحية تتجلى فيها صفاتها بوصفها مربية وفتاة ظريفة جدا وان عدمت الجاذبية .

وبستر : هى تعبير أيضا عن احساس كبير بالأمومة شائع بين نساء كثيرات ، وذلك كما أرى قد أضفى على جين احدى الصفات التى ترى كثيرا من القارئات أنهن على غرارها تماما .

ألدريك : أى نعم ، فهى تمثل النساء جميعا .

ولقد كان لها آلاف ممن خلفنها ( ولو أنه لم يكن لهـا أسلاف ) وكانت ماجى ويلى احداهن ، ولقد أصبحت طرازا شائعا ولكنها لم تكن موجـودة عنـدما كتبت شارلوت .

بريزون : كلا ، فقد كان المفروض فى النساء أنهن أقل ايجابية من حيث مزاياهن قبل أن يكتب هذا الكتاب . ولكن ماخطب الشخصيات الأخرى من حيث واقعيتهـا ؟ فاذا كان لجين هذا التأثير العظيم الذى تحسه عندما تقرأ الكتاب وأنت تحـاول جاهدا تفهم الصفة البلاغية الصعبـة التى كانت تميز الأسلوب الفكتورى ، فما هو احساسك نحو وشستر نفسه ، ذلك الناتىء الحاجبين المستدير الأكتاف البالغ الرجولة ؟

وبستر : حسن . فان هنالك أيضا شيئا فى روشستر يجعله جذابا بطريقة غير مألوفة لكثير من الناس . ان جزءا من الفتنة التى نأنسهـا فى الـكتاب ينحصر فى أن جـين ومستر روشستر قد بدأ ينجذب كل منهما لصاحبه ، أو هـذا ما أشـعر به ، لأن كليهما لم يكن فردا من الأفـراد التقليديين العاديين . فلم يكن أحدهما متلائما تماما مع التقاليد ، بالرغم من أن مستر روشستر كان أقرب الى ذلك . ولكننا قد قابلنا كثيرين من أولئك الأبطال ذوى الحواجب الكثة الذين لم تعترف لهم التقاليد بالوسامة أو الجمال بالمعنى الرومانسى لهذه الكلمة . فيهم خشونة فى طباعهم ولكنهم يتمتعون برجولة فائقة ــ كذلك نرى فى مستر روشستر ــ الى جانب مافيـه من رجولة ــ عقلا طريفا شائقا .

بريزون : ولكن أليس هذا رومانتيكى بعض الشىء أيضا يا مس وبستر ؟

وبستر : هو على اليقين رومانتيكى من ناحية . ولم لا يكون كذلك ؟ غير أنه يلوح لى أنه بالرغم من أن عادات مستر روشستر أدخل فى باب الرومانسية الفكتورية ،فقد كانت فيه واقعية جلية المعالم .

بريزون : حسن . اذا فرغنا من هذين ، فماذاعن الآخرين ؟ ماذا عن تلك المخلوقة الشريرة المجنونة المسكينة المأسورة فى عليّة البيت التى تحاول أن تقتل كل انسان ، والتى كان على روشستر أن يتزوج منها ، اذ احتيل عليه حتى تزوجها ـ ماذا عن ذلك الشبح المخيف المختفى وراء الأحداث ؟ أهى شخصية واقعية ؟

الدريك : هى شخصية مستخرجة من التقاليد القوطية .

وبستر : أرى أنها البعير الذى ينبغى عليك أن تبلغه .

بريزون : أليست شخصية مقنعة فى نظرك ؟ انها تمثل الشر الخالص .

الدريك : كلا ، انك لست مقتنعا بها قبل كل شىء لأنك لا تراها الا قليلا جدا ، ولكنها الشر مجسما ، وأرى أنها من الناحية الدراماتيكية ، قد أدت الغرض المطلوب منها فى الرواية .

وبستر : أى نعم ، انها ضرورة فنية لحبك الرواية . ولم تحاول شارلوت أن تفحصها بأية طريقة ذات شخصية . أمثلت هى ؟

بريزون : وماذا عن مستر سان جون ريفرز ، ذلك المبشر العظيم، الذى أراد أن تصحبه شارلوت كزوجة على اساس الحب الأفلاطونى .

وبستر : لا أومن به اطلاقا . .

الدريك : انه واحد من الشخصيات الضعيفة فى الكتاب .

بريزون : حسن . أنت اذن تقولين ان شارلوت برونتى كانت قادرة على خلق هذه الشخصيات الكبرى ، كاملة قوية عميقة ، الا أن رسمها للشخصيات الأخرى لم يكن بنفس المهارة ؟

وبستر : ليس هذا القول صحيحا على اطلاقه . فبعض الشخصيات الثانوية قد صورت على نحو حى عميق — فعندك مثلا بسى المرضة ، ومسز ريد ، والعمة الخبيثة ، وعندك مسز فرفاكس كبيرة الخدم ، وأديل الطفل الصغير . ان كثيرا من هؤلاء ، وحتى الحوذية الصغار الذين لم يذكروا الا فى سطور قليلة ، كان تصويرهم محكما .. ولكنى أظن أن زوجة روشستر الأولى ومستر ريفرز ، وكذلك السيدات الجميلات اللائى صورن مناقضات لجين ، وربما كان ذلك عمدا ، ومنهن بلانش انجراهام وروزا موند أوليفر ، أظن أن هؤلاء قد صورن فى سطحية وبغير عمق .

ألدريك : انهن لسن سطحيات تماما . فهن يستطعن أن يحصلن على العمق الدرامى لأن جين تتمتع بنوع من الموهبة يظهر لك نواحى عدم الاتساق البشرى فى كل هؤلاء الناس .

بريزون : انك تتحدث عن جين كانما هى شارلوت تماما الى حد انك الآن تتكلم عن جين على اعتبار أنها كتبت قصتها .

ألدريك : أعرف ذلك . أعرف ذلك .

بريزون : اتقصد أن شارلوت برونتى كانت تتمتع بهذا النوع من النبوغ عندما كتبت عن جين .

الدريك : أى نعم ، فقد كانت تتمتع بهذا النبوغ .

وبستر : حسن ، الآن تكلمت عن زواج شارلوت وروشستر .

بريزون : أعلم أنى قلت . أعلم ذلك .

وبستر : أتعنى بذلك أن هنالك تطابقا فعليا كبيرا جدا بين الشخصيتين ، أم أننا نتخيل ذلك ؟

بريزون : لا أشك أن هنالك تطابقا . ولكن دعنى أعـود الى شيء فتننى فى الكتاب ، وهو شيء أرى أنك أبرزته يا مستر ألدريك . كيف يتأتى لفتاة عاشت هذه الحياة الضيقة فيما يبدو ، أن تدرك هذا الادراك الشامل لمثل هـــذه المشكلة الانسانية العميقة وتكتب مثل هذا الكتاب ؟ انها لمشكلة قديمة .

الدريك : انها مشكلة قديمة جدا . وجميع الشبان الذين يريدون الاشتغال بالأدب يسألون هذا السؤال .

بريزون : حسن . انك عندما تعلم الشبان الكتابة ـ وانى لموقن أن هذا جزء من عملك يا مستر الدريك ـ ألا يقولون لك : « حسن . أنا لا أستطيع الكتابة لأنى لم أجب الآفاق بعد ، أنا لم أذهب بعد الى الصين ، لم أقع بعد فى غرام ستة نساء فقدت خمسا منهن ؟ » ماذا تقول ؟

ألدريك : كلما أخذوا يحسون بالأسف لحالتهم ، فعليك أن تشير الى الشقيقتين برونتى . كانتا كاتبتين لم يكن لهما فى الحقيقة تجارب تميزهما يمكن الحديث عنها ، ومع ذلك فقد أنتجتا أعمالا من الطبقة الممتازة .

بريزون : ما الجواب ؟

ألدريك : الجواب واضح ، ذلك أن الشقيقتين برونتى قد استغلتا تجاربهما أتم استغلال ، وأن كل المادة الهامة فى چين اير هى جزء من حياة شارلوت .

بريزون : فى الخيال ؟

الدريك : أى نعم . فقد كانت متفتحة الحواس بدرجة كبرى ، وكانت تتمتع بهذه القدرة الكاملة للانتفاع بالخبرة ، تلك القدرة التى تكلم عنها هنرى جيمس باعتبارها موهبة لا غنى عنها للكاتب .

بريزون : معنى ذلك أن الخبرة لا تفيد أولئك الذين لا يتمتعون بهذه الموهبة ؟

وبستر : ليس الأمر كله أمر خبرة فيما أعتقد . وتبرز هذه المشكلة بينة لى فى خلال أعمالى المهنية الى حد ما . يظن المثلون أنه ينبغى عليهم أن يكونوا قد فعلوا شيئا من أجل أن يمثلوه على المسرح . ولكن من الحمق الشديد أن تتصور أن عليك أن تقتل حتى تستطيع تمثيل دور مكبث . ان القدرة على تخيل التجارب العاطفية والانفعالية هو الشيء الهام فى أى فن . أليس كذلك ؟

الدريك : أى نعم ، وأرى أن شارلوت ، قد حصلت على كل ما تحتاجه من البصيرة وثاقب النظر الى الاتصالات الرومانسية نتيجة لتجاربها فى بلجيكا .

بريزون : وقد قالت شيئا للنساء لا يزال يعنى أمورا كثيرة ؟ لقد قلت يا مس وبستر أن جين كان لها أخلاف كثيرات . اكانت قراءتك لجين اير منذ تسع سنوات مضت ؟

وبستر : على وجه التقريب . فقد قرأت الكتاب بأكمله من البداية الى النهاية ما عدا فقرات صغيرة جدا . فى اذاعة كولومبيا، كنت أقرأ ثلاثين دقيقة كل صباح فى الساعة التاسعة والربع ، وهو وقت غير ملائم تماما .

بريزون : أكان الناس يستمعون ؟

وبستر : كانت تصلنى عادة أكثر الرسائل غرابة . وصلنى مئات من الرسائل ويتضح من ذلك انه كان هنالك أناس يستمعون كل يوم . ومما لا مراء فيه أن الكتاب له قيمة قصصية فنية كبيرة ، فضلا عن قيمة الشخصيات ، الأمر الذى فتن به الناس . ولا تزال تصلنى رسائل حتى اليوم ، وعندما أغادر نيويورك فانى أقابل أناسا

يتكلمون عن مقدار اعجابهم الكبير بالكتاب وكيف كانوا دائما يتتبعونه بحماس ـ من هؤلاء العميان ، والبعيدين فى الغابات ، وربات المنـــازل وهن يغسلن الصحون ، والذاهبين بسياراتهم الى العمل فى الصباح . لقد كان له مستمعون كثيرون ، مخلصون ، مفتونون به .

بريزون : أكان هؤلاء أناسا ممن لم يعـــرفوا الكتاب من قبـل يا مس وبستر ؟

وبســتر : أظن أن الغالبية العظمى منهم كانوا كذلك . وربما كان بعض منهم قد قرأ الكتاب فى حداثته ولم يكن يتذكره تذكرا تاما .

بريزون : ان ما أحاول أن أصل اليه هو أهم نقطة : ماذا تعنى جين اير لقارىء حديث ؟ عندما قرأت جين اير بمهارتك المرموقة ، هل أنس الناس فيه كتابا جديدا ولم يكن رد الفعل الذى نتج عن قراءتك راجعا الى الأدب فحسب .

وبســـتر : أرى فى الحقيقة أنها كانت فى أقل الأمر استجابة ادبية واعية ، ولكنها استجابة طبيعية لكتاب هو بأخطائه كلها ، من كتب الأدب العظيمة . أرى أنه استرعاهم لأنه من ناحية يتضمن حبكة بها من الجودة ما بمسرحية مغرية ـ وربما كان ينبغى أن يسمى « جين اير تواجه الحياة » ـ ومن ناحية أخرى لما فيه من أن المستمعة العادية تشعر بأنها جين اير .

الدريك : اى نعم . انها تحرر النساء جميعا من اى عذاب قد يتفق أن يعانينه فى تلك اللحظة .

بريزون : اتعنى أنهن كن يمارسن أحلاما رومانتيكية او انهن كن يرين فى السياق الواقعى لحياتهن أناسا أكثر سطوة .

الدريك : اى نعم ، فانهن يستطعن أن يرين انفسهن مثلها قادرات ،

معتمدات على أنفسهن فى تشكيل مصائرهن ؟

بريزون : ولأن جين شكلت مصير ما يرين من انهن يستطعن تشكيل مصائرهن .

الدريك : أى نعم .

وبستر : ومن خلال جين يرين أنفسهن شخصيات ممتعة ، وتستحق كل اعجاب . وأرى أن الجانب الفكه فى جين وفى الكتاب لم يتبلور تماماً فى غالب الأحيان .

بريزون : أى فكاهة تقصد ؟ أنت لا تقصد كوميديا الشخصيات .

وبستر : حسن ، فلنقل السخرية اذا أردت . فقد كانت ذات روح فكهة فريدة فى بابها وبخاصة اذا أدخلنا فى اعتبارنا انها امرأة فكتورية .

بريزون : وان الرواية تقص قصتها بشكل خاص .

وبستر : عن نفسها بل وعن مستر روشستر . وقدرة المرأة على الضحك من الرجل الذى تحبه صفة نادرة الى حد ما .

الدريك : أى نعم ، وفى الكتاب تهكم خالص . لقد كنت أفتتن دائما بالمشاهد فى بداية الكتاب حيث يقدم بروكلهرست مثلا . كما كانت بعض مهازل عائلة ريد مثيرة للسخرية الشديدة ، ولكنها سخرية لاذعة .

وبستر : عجبا ، هو كذلك .

بريزون : ولا تزال تحس لذعتها . أقصد أنها لا تظهر لك فى صورة دمى صغيرة تتحرك فى عرض هزلى .

وبستر : لا أظن ذلك ولا أرى أن أفراد هذه الأسرة يشبهون العمة ساليز اطلاقا . فمثلا ، عند بداية الكتاب ، وعندما قدم لك بروكلهرست المقوت ، ووصفت جين أولى تجاربها المخيفة حينما التحقت أولا بمدرسة لوورد . فانك تظن ان الأمر سيئول الى مثل البيئة التى اخرجت أوليفر

تويست حقيقى ، ولكنها ليست كذلك . فقد كان هنالك شخصيات تتصف بالإنسانية والوضوح والاعتدال ، وينتهى بك الأمر الى الاعتقاد فى صلاحية مدرسة لوورد بدلا من التفكير فيها باعتبارها مجـــرد أداة للتعذيب ابتكرت لتظهر لنا جين .

الدريك : حسن ، ولا أظن أنى أعتقد فى صلاحية هيلين بيرنز .

بريزون : أهى ملائكية جدا ؟

وبســـتر : انها ملائكية بعض الشىء .

الدريك : أعتقد أن شارلوت كانت تتمثل فى مخيلتها احـــدى شقيقاتها الصغار ، وربما كانت مفعمة لها بالود والمحبة .

بريزون : أتعتقد فى الشر الغريب الأطوار ، ولا تعتقد فى الخـــير الغريب الأهواء ؟

الدريك : ان تصوير الخير الغريب الأهواء أصعب كثيرا .

بريزون : أظن أنه كذلك .

وبســـتر : حسن ، ان الشر الغريب الأطوار أكثر تشويقا على أية حال . أما الخير الغريب الأهواء فقابل لأن يكون سطحيا تافها ، وهذه هى الخصيات المميزة لجين ، فانى أرى أنها ليست خيرة غريبة الأهواء وليست سطحية تافهة .

بريزون : ولكن ما أكثر ما تستجيب الى جين بعمق واستيعاب ، فانك تشعر أنها هى ذلك الشخص الحقيقى . أكان من الممكن أن يكون هذا الكتاب أحسن مما هو ــ وهذا سؤال تأملى صرف ــ اذا ما أمكن أن نعاود كتابته وفقا للتقاليد الواقعيـــة الحـــديثة . أى اذا أمكنك أن تتخلص من الخطابيات الفكتورية ؟

الدريك : أظن أن الخطابيات لا غنى عنها .

وبســـتر : وأرى ذلك أنا أيضا . أرى أنها تفرغ على الصورة نوعا من الكمال . أحد الأسباب التى كسبت بها شارلوت

سواء أكانت بمحض الصدفة أم عن قصد هو التناقض بين بساطتها وبلاغتها . ان أحب الجمل الى فى الكتاب كلمة تأتى فى ختام هذه القصة ، القوية الواسعة المضطربة المدومة ، بعد جميع الأشياء التى مر بها هذين الشخصين . هذه الجملة الافتتاحية للفصل الأخير : « قارئى ، لقد تزوجتـــــه » .

بريزون : ان زواجها فى ذلك الحين ، فيه ارضاء ولا شك لأولاء الرومانتيكيات الصغار اللاتى يردن اعطاءها الفرصة التى تبتغيها لتكرس نفسها لبطلها الأعمى تقريبا الأشوه تماما ، وذلك أيضا يرضى طلب مستر الدريك . ان ما طلبتــه حقيقة هى أن تكون امرأة عشقت لذاتها ، وأتيحت لها الفرصة أن تظهر من خلال عملها القوة والقدرة والتفانى الكامنة فى خلقها ـ أى دافعها الدينى الذى هو أساسى فى نفسها .

# الملكة فيكتوريا

## لجيلس ليتون ستراشي

# جيلس ليتون ستراشي

( ١٨٨٠ - ١٩٣٢ )

ناقد انجليزى ، وكاتب سير ومقالات . تلقى تعليمه فى كلية ترنتى بجامعة كمبردج . ونال شـارة الشرف الانجليزية عن قصيدته « الى » سـنة ١٩٠٢ . كان عضوا فى « جماعة بلومزبرى » للكتاب والفنـانين مع ج. م. كينز ، وروجر فرى ، وفرجينيا وولف ، وسليف بل وآخرين . وقد افتتحت دراسـاته الشهيرة ـ فى أثناء الحرب العالمية الأولى ـ مدرسة جديدة للتراجم والسـير .

له مؤلفات كثيرة أهمها « معالم الأدب الفرنسى » ( ١٩١٢ ) و « مشاهير العصر الفكتورى » (١٩١٨) ، و « الملكة فكتوريا » (١٩٢١) وقد نال عنـه جائزة جيمس تيت بلاك واعتبره الكثيرون أفضل ما كتب عن الملكة فكتوريا .

# تعريف بالكتاب

يشيع على الألسنة المتعجلة أن « نحلة الشخصية » تنطوى وتضمر فى العصر الحاضر لأنه عصر الجماعة وليس بعصر الفرد ، أو لأنه بعبارة أخرى ــ عصر العدد الكثير وليس بعصر الآحاد .

ونظرة عاجلة لهذه القولة العاجلة تدل على حقيقة هذه الاشاعة :

نظرة الى عناوين الكتب التى تصدر من المطبعة فى الغرب والشرق تدل على حقيقة النظر الى « الشخصية الانسانية فى عصر الجماهير » .

فان عناوين الكتب تدل على موضوعاتها وعلى نسبة التراجم والسير بين تلك الموضوعات ، فهى ــ كما يظهر من النظرة الأولى ومن النظرة الأخيرة معا ــ أوفر عددا من ميثلاتها فى العصور الماضية ، وربما زادت كتب التراجم والسير فى ربع القرن الأخير على عددها فى القرن التاسع عشر كله مع زيادة عدد المطبوع من تلك الكتب على حسب زيادة الجماهير وهى الجماهير التى يقال بلسانها أنها تعرض عن « الشخصيات » وتنفر من نحلتها المتمثلة فى كتب التراجم والسير وفى الكلام على المشهورين والعظماء ، فاذا أضفنا الى الكتب المطبوعة صور الستار الأبيض وأحاديث الاذاعة وأخبار الصحف ، فقد تزيد جملة الشخصيات التى اهتم بها أبناء زماننا على جملة الشخصيات المشهورة فى جميع الأزمنة .

أن الاهتمام « بالشخصية الانسانية » لم يبطل ولن يبطل فى عصر من العصور ، وربما تغيرت أسباب الشهرة التى يهتم الناس من أجلها بصاحب الشخصية ، ولكن الأمر الذى لا يتغير هو اهتمام الناس بكل انسان يسترعى أبصارهم وأسماعهم بصفة من الصفات أو عمل من الأعمال ، مهما تختلف الصفات والأعمال ، ومهما تختلف الأبصار والأسماع .

وكل ما هنالك من فارق بين تراجم العصر الحاضر وتراجم العصر السابق أن الترجمة كانت عملا خاصا يتوفر عليه مترجمون متخصصون ولكنها اليوم حق مشاع لكل من يعرف سيرة ويستطيع أن يكتب عنها كتابا وربما صدرت الترجمة من قلم صاحبها أو أقلام المقربين اليه وذوى قرباه ، فهي أعم واشيع من أن يحتكر الكتابة فيها « مترجمون متخصصون » .

اننا لا نستطيع أن نختار ترجمة تفصل بين العهدين أصلح من ترجمة الملكة ڤكتوريا ولا نستطيع أن نختار مترجما متخصصا أصلح لهذا الغرض من مؤلفها ليتون ستراشى . خاتم المترجمين المتخصصين فى الآداب الانجليزية .

يقول بريزون فى فاتحة الحوار التالى : « ان كثيرين جدا يستطيعون أن يتذكروا وفاة الملكة ڤيكتوريا ... ولكن عصرها وحياتها يبدوان على وجه التقريب جزءا من التاريخ القديم » .

ويقول ميكالوبولوس انها « كان لها شخصية لا مثال لها . بدات وهى المانية تماما وانتهت امراة انجليزية » .

وتدهش الأميرة كروبتكين فتقول متسائلة : امرأة انجليزية ؟

فيعود ميخالوبولوس قائلا : « أن عزة منزلتها واعتزازها بكونها ملكة انجلترا ، ربما لم يجعل منها امراة انجليزية وانما جعل اسمها رمزا لنظام كامل » .

نعم . ان الملكة ڤكتوريا قد كانت فى مدة ملكها الطويلة رمزا لنظام كامل ، وكان هذا النظام كاملا لأنه يحيط بحياة الأمة الاجتماعية كما يحيط بحياة الدولة السياسية ، فلما انقضت أيامها انقضت معها مظاهر النظام كله ولاح للناظرين الى الفاصل بين العهدين انهم ينتقلون — كما قال بريزون — من التاريخ القديم الى التاريخ الحديث ولولا طبيعة فى المجتمع الانجليزى تحسن التحول التدريجى مع المحافظة على الظواهر

العيانية لما تم هذا الانتقال بغير ثورة دموية تنقطع بها الصلة بين الماضى والحاضر ، ويحس الناس مفاجآتها بدلا من الاحساس بها كأنها مفارقة من مفارقات النقائض والاضداد .

لقد شهدنا نحن فى مصر أعقاب العهد الفكتورى وهو يتوارى بزيه الجديد تحت غطاء الزى القديم ، وشهدنا نقائض الانتقال بين العهدين فى مدى سنوات معدودات ، فرأينا مندوب بريطانيا العظمى يستبيح ايام الحرب العالمية الثانية أمورا كانت تطيح به من مركزه قبل أن يصبح الصباح ، لو انه استباحها أيام الحرب العالمية الأولى .

وليس أحق من ليتون ستراشي أن يكتب لأبناء عصره ترجمة هذه الملكة ذات النطاقين : الملكة التى أقامت على عرشها رمزا للنظام الكامل ، ثم أصبحت فى قلوب أبناء شعبها وبناته امرأة انجليزية « يقدسونها ويحبونها ، بل يعطفون عليها كعطف الأبوين على فتاتهما الناشئة ، وهى تحسن تمثيل دورها فى سمت النساء » .

كان ليتون ستراشى زعيم مدرسة التراجم التى اشتهرت باسم مدرسة التفريغ Debunking school.

وقد سميت بهذا الاسم لأنها كانت تعمد الى السمعة المحشوة بالمقدسات وزخارف التقاليد فتفرغها من هذا الحشو وتبقيها على سجيتها فى مباذل الدار ، أو ـ على الأكثر فى كسوة الاحتشام بين جدران حجرة الاستقبال ! .

وقد تناول ستراشى عشرات التراجم المطولة والموجزة فصنع بها هذا الصنيع ، ولم يبال أن يمزق عنها الستار فى جميع الأحيان ولكنه كان يصنع الستار أحيانا ليفهم الناس أنه ستار فلا يدعه محجوبا فى الظلام كأنه محراب من محاريب العبادة والتقديس .

ومن الذين كتب عنهم وعرفناهم بالنظر أو بالسماع لورد كرومر والجنرال غوردون ، فاذا أردنا أن نقيس تراجمه الأخرى بمقياس هاتين

الترجمتين فالحق أنه زعيم مدرسة التفريغ غير مدافع ، ولكننا نظنه مقتصدا فى التفريغ حين يجهل بعض الحقائق عن أبطاله فى بيئاتهم الشرقية فانهم ليظهرون فيها كثيرا مما يحجبونه من عاداتهم وأخلاقهم بين أبناء قومهم ، ولا سيما الرسميين واشباه الرسميين .

* * *

ومن الواضح أن ستراشي لم يخلق مدرسة « التفريغ » فى كتابة التراجم والسير ، لأن العصر كله كان عصر « تفريغ » بالجملة فى النظر الى الأشخاص والأخلاق وفى النظر الى التقاليد والعادات ، ولكن ستراشى قد استعد للتفريغ فى الترجمة للأبطال والبطلات بعدة خاصة لا يشاركه فيها كل كاتب للتراجم والسير ، وربما توافرت له العدة الثقافية مع العدة النفسية التى لابد منها للتفوق فى هذه الصناعة ، فقد كان ولا شك — من أوائل المتفوقين فيها بين كتاب الانجليزية وكتاب اللغات الأخرى فى عصره ، وبهؤلاء انتهى عهد التخصص للتراجم والسير واتسع المجال بعدهم لغير المتخصصين « وللشخصيات » التى لم يكن أحد يكتب عنها قبل عصر « التفريغ » .

والعدة الثقافية التى رشحت ستراشى للتفوق فى هذه المدرسة هى نشأته فى بيت ستراشى الذى نشأ منه غير واحد وغير واحدة على الشغف بآداب اللغة الفرنسية ونقادها المتفرغين لكتابة التراجم والتعليقات على « الشخصيات » .

وقد كان اعجاب ستراشى بأحاديث سان بيف أول درس تلقاه من دروس التفريغ وأول نموذج تمثل به فى كتابة تراجمه القصار ، ولم يكن سان بيف خالقا لهذه المدرسة فى اللغة الفرنسية ، ولكنه تلقاها — كتلميذه — من وحى العصر فى أعقاب الثورة الفرنسية وكان لهذه الثورة فعلها الحاسم فى القضاء على تقاليد « الرمز الكامل » لنظام الملكية الباريسية ، فزالت هذه التقاليد قبل أن تزول فى الجزر البريطانية ، وربما كانت حروب الجزر البريطانية مع فرنسا هى التى أطالت أجل

« الرمز الكامل » لنظام الملكية كما عرفته الأمم البريطانية قبل نهاية عصر ڤكتوريا وبداية عصر ادورد السابع ••• ولا ننسى أن ادورد السابع الذى تجددت فى عهده مظاهر النظام كله كان من رواد المجتمع الباريسى قبل جلوسه على العرش ، وكان بعد جلوسه على العرش رسول التوفيق بين الدولتين الانجليزية والفرنسية .

وترادف العدة الثقافية عدة نفسية ساعدت العصر والثقافة على ترشيح ستراشى لزعامة التفريغ ... وتلك هى عزلتـــه عن المجتمع وشـعوره بقلق الحيـــاة البيتية فى فترة الانتقـــال بين العصر الڤكتورى والعصر الذى تلاه . فان بعض العوامل ـ ومنها عوامل الجسم العليل ـ قـد وقفت بالكاتب على أبواب الحيـــاة الاجتماعية فـلم يقـــدم على الزواج ولم يفكر فى بنـاء الأسرة بين متاعب العصر ، ومتاعب السقم ، وعاش طوال حياته متفرجا على أطوار الحياة الاجتماعية ناقدا لما يتتابع فيها من عوارض الحشو والفراغ ومظاهر الفخامة الذاهبة فوق بسائط الواقع التى أوشكت أن تتعرى من فخامتها .. وبهذه العدة السابقة من عوامل المزاج وعوامل الثقافـة وعوامل العصر ـ تمت للكاتب رســالته وخرجت ســيرة « الرمز الكامل » من قلمه بهذه البساطة الانسانية فى هذه المرأة الانجليزية ... ولم يكن أصلح منه لختام مدرسة المترجمين المتخصصين ولا أصلح من ترجمة الملكة ڤكتوريا «لهذه النقلة بينالعهدين» •

**عباس محمود العقاد**

# الحـــوار

**(١) الأميرة كروبتكين . (٢) أندرى ميخالوبولوس . ليمان بريزون**

بريزون : بالرغـــم من أن كثيرين جـــدا يستطيعون اليوم أن يتذكروا وفاة الملكة فكتوريا منذ خمسين سنة ـ وانا منهم ـ فان عصرها وحياتها ، انما يبدوان على وجـه التقريب جزءا من التاريخ القديم . ان الفاصل بيننا وبين الملكة فكتوريا هو على وجه التقريب بقدر ما بين أيامنا هذه ودنيا صولون وسقراط من بعد الشقة .

ميخالوبولوس: لا أرى ذلك يا مســـتر بريزون ، لأنى فى الواقــع رايت السيدة العجوز العزيزة .

بريزون : ومع ذلك فانت أصغر منى .

ميخالوبولوس: أأصغر منك أنا ؟ لقد رايتها على اية حال وهى تتجـه الى « بارك لين » فى عربتها فى سنة ١٩٠٠ ، وفى السنة التالية رأيت جنازتها فعلا . ومن ثمـــة فان العصر الفكتورى لا يزال حيا تماما بالنسبة لى . وانى لأعتبر نفسى فكتوريا .

بريزون : ولكنك توافقنى يا مستر ميخالوبولوس ، أليس كذلك ؟ ان الفاصل بين ذلك اليوم ويومنا ، انما هو على وجـه التقريب تام بقدر ما تتخيل .

ميخالوبولوس: عجبا . أى نعم ، أى نعم .

---

(١) Princess Alexandra Kropotkin مؤلفة ومحاضرة وكاتبة صحفية .

(٢) Andre Michalopoulos محاضر وناقد .

بريزون : ثم ان كتاب ستراشى قد جعل هذا الفاصل بصورة ما ، اكثر اكتمالا ، ذلك لأنه أعطى لحياة هذه السيدة العجوز صورة من القالب الكلاسيكى .

كروبتكين : صورة كبيرة جدا من القالب الكلاسيكى . وأظن أن الناس قد بدأوا يحسون بحنين بالغ للعصر الفكتورى .

بريزون : أتعنين أيتها الأميرة ، أننا نود لو استطعنا العودة الى ارتداء القرانيل ( اغطية للرأس ) ومعاطف البرنس البرت؟

كروبتكين : كلا ، ليس هذا ما أردت . ولكن الاستقرار الذى اتصف به ذلك العصر ، انما هو أمر بدأ كثير من الناس يفكرون فيه بصورة أعم كثيرا مما كان يشغلهم فى الفترة السابقة.

ميخالوبولوس: انى لأوافق على هذا موافقة تامة أيتها الأميرة . وانى لأتذكر أننى عندما كنت غلاما وكنت أدرس التاريخ اليونانى ، سألت والدى ذات مرة ، « أتظن أننا سوف نغزى يوما كما غزينا فى الماضى ؟ » فقال « بنى ، لا تكن أحمق ، نحن الآن فى القرن العشرين ، ولا أحد يغزو أرض الآخرين » .

كروبتكين : أى تفاؤل هذا . أنا لا أستطيع أن أدعى أنى رأيت الملكة فكتوريا ، لكنى رأيت بعضا ممن خلفهم العصر الفكتورى. قابلت وأنا طفلة صغيرة ، شقيقة زوجة تشارلز ديكنز المس هوجارث ، التى فرض أنها كانت النموذج الذى صورت على غراره فى « دافيد كوبرفيلد » ، وكانت تشبه فكتوريا شبها كبيرا . كنت أجلس على كرسى صغير عند قدميها ، وفيها كنت أتملى ذلك الشبه الكبير فى أهداب ثوبها الكبيرة ، وفى قلنسوتها الصغيرة المضفورة الجميلة بأشرطتها البنفسجية .

ميخالوبولوس: أى نعم ، فقد اعتاد السيدات المسنات فى الفترة الأولى

من هذا القرن أن يقلدن الملكة فكتوريا من حيث ملابسها، وأن يتمسكن بأسلوبها الخاص .

كروبتكين : كن يلبسن جميعا تلك القلنسوات الغريبة الصغيرة .

بريزون : ومع ذلك ، فان كليكما قد شببتما فى انجلترا فى ظل العصر الفكتورى ، فعليكما أن تسلما بأن ذلك العصر كان فيه جملة كبيرة من أشياء أخرى غير القرنول والملكة فكتوريا. أما أنها كانت ملكة عظيمة أم لا ، فأمر يستحق المجادلة . كانت ولا شك شخصا غير عادى . ولقد صورها ستراشى شخصا من الخوارق .

ميخالوبولوس: لقد كانت شخصا خارقا للعادة .

بريزون : ابمركزها فقط يا مستر ميخالوبولوس ؟

ميخالوبولوس: كلا ، وانما بشخصيتها . كان لها شخصية لا مثال لها ، بدأت وهى ألمانية تماما ، وبكيفية أو بأخرى انتهت ، امرأة انجليزية . ولا أعرف بالضبط كيف حدث ذلك .

كروبتكين : عجبا . أنا أجادل فيما تقول : « امرأة انجليزية » .

بريزون : اترين أنها لم تكن قط انجليزية ؟

كروبتكين : ارى أنها أوفى شخص ألمانى قرات عنه على الاطلاق .

ميخالوبولوس: الا أن عزة منزلتها ، واعتزازها بكونها ملكة انجلترا ، ربما لم يجعل منها امرأة انجليزية ، وانما جعل اسمها رمزا على نظام كامل .

كروبتكين : أى نعم ، فهذا جعل منها ملكة انجليزية . ان أكثر الاشياء التى تلفت النظر بالنسبة لى فيما يتعلق بشخصيتها انما هى صفة انحدرت الى العائلة المالكة الانجليزية ، لقد كانت أمينة مقسطة وصادقة مصدقة تماما . ذكر ستراشى هذا ، كما ذكرته السيدة ليتلتون .

بريزون : أتفترضين ان هذه خصال ألمانية وليست انجليزية ؟

كروبتكين : كلا .. كلا . ان هذه خصال حسنة توجد فى كل مكان على ما اظن ، ولكنها كانت تتصف بها . نحن نعلم ان الألمان ليسوا جميعا صادقين أمناء ، ولكن كانت تتمتع بهذا ، كما كانت تتمتع بصفة أخرى ، هى ألمانية جدا ، الا وهى الجد والاجتهاد الهائل .

بريزون : أى نعم . كانت تحب العمل .

كروبتكين : واظن أن أغلب أفراد أسرتها ، مع بعض الاستثناءات ، انما هم كذلك .

بريزون : نحن دائما فى هذه البلاد أيتها الأميرة نغفل حقيقة أن الأسرة المالكة الانجليزية انما هى أسرة ألمانية ، وأن مثلهم الكبرى كانت عظيمة على الطريقة الألمانية . نحن ننسى فرض أسرة مالكة ألمانية على الشعب البريطانى ، لان الشعب البريطانى يميل الى نسيان ذلك .

ميخالوبولوس: حسن ، لقد نسوها ، لأن ميول الأسرة المالكة البريطانية قد توحدت تماما مع ميول الشعب البريطانى اليوم .

كروبتكين : هذا صحيح .

بريزون : تقولين انها كانت مجدة . كانت تحب العمل ، وكانت تؤمن بأداء واجبها .

كروبتكين : كانت تعمل من الصباح للمساء .

بريزون : كانت تؤدى وظيفتها .

كروبتكين : كانت تعمل . الا تتذكر عندما كان مكتبها ملاصقا لمكتب ألبرت ؟ كان هو أول من يدلف الى مكتبه منهما . كان يستيقظ قبل السابعة .

ميخالوبولوس: كان يستيقظ قبل شروق الشمس ، وكان يعمل فى ضوء مصباحه الأخضر الصغير . ثم تستيقظ هى بعده بقليل، وتجلس الى المكتب الآخر المجاور له ، فتتراكم أمامه

آكداس من الوثائق . وحينئذ يعملان ساعات طويلة .
وكانا يفحصان أدق تفصيلات المسائل الادارية . ان ذلك
لأمر عجيب حقا .

كروبتكين : انظر كيف عمل جورج السادس بجد حتى مرضه القريب، ان لم يكن بشئون الحكومة فبشئون أملاكه .

بريزون : هنالك فرق ظاهر أيتها الأميرة .

كروبتكين : لكنه لم يخفه العمل .

بريزون : هذا صحيح . فانه مهما بذل الملك الذى نعلم انه كان فى خطر كبير من جهد العمل ، فانهم كانوا يعملون فى حكم انجلترا .

كروبتكين : اى نعم ، حقا .

ميخالوبولوس: كانوا يتدبرون حتى ادق التفاصيل .

بريزون : ونحن الآن نتكلم عن هذين الشخصين كما صورهما ستراشى .

ميخالوبولوس: اى نعم . فمثلا ، أثير موضوع حول ما اذا كان ينبغى ان يسمح لبحارة البحرية البريطانية أن تكون لهم لحى أم لا.

كروبتكين : لقد لاحظت ذلك .

ميخالوبولوس: ويقول ستراشى ان الملكة ، كتبت باهتمام الى وزير البحرية . وعلى العموم ، كانت الملكة تحبذ التغيير .

بريزون : من حيث اطلاق اللحى أم حلقها ؟

ميخالوبولوس: من حيث اطلاقها . .

بريزون : أسمح لهم باطلاق لحاهم ؟

ميخالوبولوس: سمح لهم باطلاق لحاهم ، لقد عبرت عن شعورها بأنها الى جانب اطلاق اللحى دون الشوارب لأن الشوارب تضفى مظهرا أقرب الى مظهر جنود القوات البرية . وعندئذ لم يتحقق الهدف المنشود ، وهو الالزام بالحلاقة.

كروبتكين : لا تنس الفقرة التى تقول فيها انه ينبغى أن تكون اللحى نظيفة ، لأن ذلك أمر مدهش .

ميخالوبولوس: أى نعم ، فانها من ثمة تقول : انه من الأفضل أن تكون اللحية فى جملتها قصيرة وبالغة النظافة .

بريزون : انك تجعلها الآن كما صورها ستراشى ، مجدة ، أمينة ، تقدس الواجب ، مخلصة لزوجها ( الذى كان المانيا حتى أكثر منها ) ولكنها كانت مغربة بعض الشيء .

كروپتكين : كـلا !

ميخالوبولوس: كلا ثم كلا . انى لا أحاول أن أسخر منها ، بل انى أحاول أن أقول بأنها كانت تتعمق بحث كل موضوع . ولم يكن يخطر ببالها مطلقا أن ذلك قد يبدو تطرفا يبعث على الضـحك . فلم يكن أحـد ليتوقع أن الملكة تهتـم بتفاصـيل ادارية الى درجـة تقريرها ما اذا كان يسمح للبحارة بتربيـة لحاهم أو حلقها ولكنها كانت تنظر الى هـذا الموضوع نظرة جدية ، ذلك لأنها كانت تنظر الى جميـع أعمالها تلك النظرة الجدية ، حتى فى أصغر التفصيلات. كانت تعتبر هذا من ضمن التفصيلات لا غير ، ولكن تفصيلا هامـا ينبغى عليهـا أن تصـدر بشأنه قراراً .

بريزون : حسن . ثم ماذا بشأن شخصيتها ـ مرة ثانية كمايصورها ستراشى ـ فيما يتعلق بالقرارات الكبرى ؟ هل كانت الملكة فكتوريا ، كما يصورها ستراتشى ، ملكة عظيمة ، بمعنى أنها كانت ذات عقل من الدرجة الأولى ، يستطيع أن يدرك أمور السياسة العليا ؟

كروبتكين : لا أظن أنه كان لها عقل من الدرجة الأولى مطلقا . وأظن أنها كانت أيضا ضـعفة المراس جدا . أتتذكر علاقتها بدزرائيلى ؟ يقول دزرائيلى ان كل انسان فى الدنيا يحب

الاطراء ، ولكن اذا أردت ذلك مع الملوك فعليك إن تقدمه بلبـــاقة .

بريزون : لقد قدمه بجاروف .

كروبتكين : لقد فعــل ذلك ولاشك . لقد أدخل فى رأسها فكرة ان تصير امبراطورة الهند وأطاح ذلك بلبها ، فما استكانت حتى أصبحت امبراطورة الهند . كان يداخلها غرور هائل بمركزها ، اذا استطعنا أن نسميه كذلك . وكان هنالك أمر آخر . أرادت الحرب مع روسـنيا . وكانت صعبة المراس جدا بخصوص ذلك .

بريزون : حرب القرم ؟

كروبتكين : حرب القرم . اى نعم . أرادت ذلك .

ميخالوبولوس: حاولت أن تستحث الحكومة لدخولها .

كروبتكين : ماذا قالت ذات مرة ؟ وهذا ما أشـــار اليه ستراشى .. هددت بالتنازل عن العرش اذا لم تعلن الحكومة الحرب ، وسمت الروس « عائقى كل حرية ومدنية » وانهم لكذلك بعد خمسين سنة .

بريزون : حسن ، فقد كانت لها آراؤها الخاصة فيما يتعلق بهذه الأمور الكبرى . ولكن الا نحتاج حتى تكمل الصـــورة التى صور بها ستراشى هذه المراة ، التى بالرغم من أنهـــا لم تكن امرأة عظيمة ، فقد سادت أوربا والعالم أكثر من نصف قرن ، أن نضع زوجها معها فى الصورة ؟

ميخالوبولوس: ينبغى ذلك قطعا . ولكنى أجادل فى شىء قلته ، أنها لم تكن سيدة عظيمة ، أظن أنها كانت امرأة عظيمة ، بالرغم من حقيقة أنها لم تكن امرأة ماهرة . .

وولر : ألم تكن ماهرة ؟ أكانت ذكية ؟

كروبتكين : كلا ، اظن انها لم تكن كذلك . انى لا اوافق مطلقا يا مستر ميخالوبولوس .

ميخالوبولوس: كانت تتمتع بكثير من الغرائز النسوية ، وبشىء كثير من قوة البديهة ، كما كانت على قدر كبير من الادراك السليم الذى يتصف به الألمان ، ولكنها لم تكن امرأة ذكية . ولقد اتطرف الى القول بأنها ربما كانت إمرأة غبية .

بريزون : انا ديموقراطى محافظ يا مستر ميخالوبولوس . احب أن اعرف رأيك فيما كان يمكن أن يكون مآل هذه السيدة لو انها ولدت فى أسرة امريكية ، لا سند لها ولا مركز ولا مال .

كروبتكين : اذن لسيطرت على أعمال القرية التى توجد فيها ودبرتها .

بريزون : اكانت تصبح رئيسة نادى السيدات ؟

كروبتكين : يا للعجب ، بكل تأكيد .

ميخالوبولوس: ما كانت لترغب فى نادى النساء . ولكنها كانت تسيطر على المدينة وتسوسها .

كروبتكين : لكانت تسيطر على أمور المدينة بلا منازع . اى نعم ، بكل تأكيد .

بزيزون : تسوسها بمقدرة ؟

كروبتكين : اظن انها كانت تسوسها بمنتهى الحزم .

ميخالوبولوس: فاذا كانت مدينة صغيرة ، اذن لتزوجت العمدة ، ولأدارتها بالطريقة التى تريدها هى .

بريزون : والآن ، هنالك أمر هام آخر بالنسبة لهذه المرأة — الا وهو زوجها . يلوح لى أنك لا تكون منصفا لكتاب ستراشى القيم ، الا اذا أدخلت فى الاعتبار ، الصورة القوية النافذة الخارقة للعادة التى صور بها هذا الرجل التعيس الذى تزوجته والذى جعل منها امرأة عظيمة .

كروبتكين : هى التى كونت نفسها ، أو بالحرى كونها ستوكمار — البارون الشهير كريستيان فريدريك فون ستوكمار .

بزيزون : الدكتور المختفى من وراء الحجاب .

ميخالوبولوس: اى نعم ، مدير المجد لعرشين .

كروبتكين : لقد كون ليوبولد ، عم فكتوريا ، الذى أصبح ليوبولد الأول فى بلجيكا ، كما أنه كون بلا مبالغة البرت . الا أن الأمر الذى يهمنى من الناحية النفسية ، انما هو مقدار حكمته ، ذلك لأنه أنقذ الزواج . كان البرت شقيا بما لا يدع مجالا للشك . لم يكن يحب انجلترا كثيرا ، وكذلك لم يكن يحبه الانجليز . لم يكن على وفاق حسن مع فكتوريا لأنه كان زوج الملكة فحسب . أما ستوكمار فمرنه ، واستحثه على العمل الشاق حتى لقد أصبح فى الواقع شريك الملكة . وكان فى الحقيقة ملكا مع فكتوريا مدة عشرين سنة .

بريزون : ولكن كان لدى ستوكمار مادة خام جيدة يدبر بها الأمور .

كروبتكين : اى نعم ولا شك .

بريزون : كان البرت فطنا موهوبا حكيما بصورة أوفى بكثير من فكتوريا .

كروبتكين : اوفى منها بكثير حقا .

ميخالوبولوس: وكان مجتهدا جدا . وجعل فكتوريا تهتم بشئون الحكم ، ذلك الأمر الذى لم تكن تميل له كثيرا .

بريزون : اود ان أسأل سؤالا آخر الآن أيتها الأميرة . لدينا الصورة التى يصورها ستراشى من أنها كانت ذكية بالفطرة ، عظيمة الجد الى جانب ما يقول ميكالوبولوس أنها غبية .

ميخالوبولوس: غبية ولكن عظيمة .

بريزون : هذه هى صـــورة تلك المرأة الغبية العظيمة معا ، مع زوجها الأكثر منها حكمة وموهبة . ذلك الذى استطاع تدريجيا ، وبالرغـم من كراهيته لانجلترا ، وكراهيـة الشعب الانجليزى له ، أن يصبح مع ستوكمار القـوة التى تسيرها فى الخفاء . هذا ما يقوله ستراشى . والآن لننظر الى ذلك كتاريخ ، أهذا ما حدث ؟

ميخالوبولوس: أتعلم أنه اجابة على ما قلت ، أن البرنس ألبرت هو الذى منع انجلترا من اعلان الحرب على الشمال فى الحرب بين الولايات فى أمريكا ؟

كروبتكين : أى نعـــم .

ميخالوبولوس: وأن آخر شىء فعله وهو على فراش الموت ــ ولقد كان يحب كتابة تلك المذكرات التى لا تنتهى ، وكان يكتب مذكرة من عشرين صفحة بخصوص كل موضوع ، فهو دائما يكتب مذكرات ــ انه عندما كان فى النزع الأخـير فعلا كتب مذكرة يقرر فيها مدى الكارثة التى كانت تحدث اذا دخلت انجلترا الحـرب فى صـف الولايات الشـمالية .

بريزون : حسن . ولكن الملكة فكتوريا كانت فى الثانية والأربعين حينئذ . ولقد استمرت تحكم حـوالى نصف قرن بعد ذلك .

ميخالوبولوس: لقد استمرت بعد ذلك أربعين سنة .

بريزون : أربعون سنة فى سلام . وكانت فترة عظيمة فى تطور أوربا . لم يكن هنالك ألبرت . ولم يكن هنالك ستوكمار . فقد عاد ستوكمار الى أوربا ، وكان ألبرت قد قضى نحبه .

كروبتكين : كانت تعتمد على رؤساء وزاراتها .

ميخالوبولوس: ليس بصورة كلية . ان الأمر الغريب هو انها كانت تعتمد

على الهام ألبرت . فقد كان مكتبه الى جوار مكتبها . ومن ثم فانها كانت تأخذ الأوراق ، وبقدر ما تستطيع كانت تكتب حواشي مسهبة فيما يتعلق بكل ما يحمله اليها رئيس الوزراء . كانت تكتب على الهوامش ، ولقد كانت تحس بأنه ينبغي عليها أن تكتب شيئا ، واذن فكانت تكتب شيئا ، ربما كان به حمق، وربما كان حسنا، ولكنها كانت تكتب رأسا تعليقات فى كل شىء .

كروبتكين : اتتذكر ما كتبته بعد وفاة البرت ؟ أظن أنها كتبت فى خطاب الى أوغسطا ملكة المانيا ، تصفه قائلة « حياتى وروحى ووجدانى » ولقد أكدت مرات كثيرة بعد وفاة البرت بأنه كان « وجدانها » . ومن ثمة فانها تابعت سياستها كما أظن ، فى الطريق التى وجهها فيه ، ولكنها ارتكبت بعض الأخطاء القليلة .

ميخالوبولوس: اى نعم ، لقد ارتكبت بعض الأخطاء .

بريزون : ولكن شيئا آخر كان يعاضدها . ان ألبرت لم يزعزع قط بأية صورة فكرتها أن الله جعل منها ملكة الانجليز وامبراطورة الهند ، وكان واجبها أن ترى أنها ملكة خيرة . لم يكن هنالك أى شك لديها فى ذلك . كان ذلك وجدان ملكة .

كروبتكين : وعلى العموم أيضا ، كانت محظوظة جدا فى الرجال الذين احاطوا بها . وكانت على التأكيد بخيلة للغاية . اتتذكر تلك الضجة التى قامت من حول الثروة التى جمعتها الأسرة ؟ فانها لم تمتلك كمية هائلة من المال فحسب — ولقد قالوا بأنها كدست مليونين من الجنيهات فى الوقت الذى ماتت فيه — ولكنها ورثت أيضا نصف مليون جنيه انجليزى من رجل يدعى نيلد . اتتذكر ذلك .

ميخالوبولوس: اى نعم .

كروبتكين : كان بخيلا شاذ الطبع ، أوصى بما يملك الى الملكة فكتوريا بعد وفاته .

ميخالوبولوس: هذه احدى الفوائد من أن يكون الانسان ملكا . ان احدا سوف لا يوصى لى بنصف مليون دولار .

كروبتكين : ومع ذلك فقد ثار صراع كبير ، حول المبالغ الهائلة التى حصلت عليها الأسرة . لقد كانت تقول دائما « لقد كبر أرثر الآن ، وينبغى له أن يحصل على ثلاثين ألف جنيه فى السنة فوق ما يحصل عليه ، وكذلك الملكة تحتاج الى مبالغ اكثر » . وكان هذا يحدث باستمرار .

ميخالوبولوس: اى نعم ، فقد كانت تبغى المال .

بريزون : الا يكون ذلك مبررا للتساؤل عما اذا كانت الملوكيات تساوى فى الواقع ما ينفق فى سبيلها .

ميخالوبولوس: لا اظن أنها تكلف الآن كثيرا كما كانت تكلف فى الماضى .

بريزون : حسنا لقد كلفت كثيرا .

كروبتكين : يا للعجب ، انها تكلف فعلا . اننى لم افكر قط فى اننى سوف أرى اليوم الذى تنفق فيه النقود فى احسن وجوهها ولكن لا اظن انها تكلفت بقدر ما يكلف الحصول على المال بطرق غير شرعية فى دولة غير دستورية . يلوح لى انه اذا حدث وحصلت على ملك دستورى ذى ضمير ، فعندئذ مهما كان المبلغ من المال الذى تحصل عليه الأسرة المالكة ، فانه يكون أقل مما يضيع هباء فى دولة تدار شئونها بطرق غير مشروعة .

ميخالوبولوس: لا اظن أن فكتوريا كانت دائما ملكة دستورية . كانت ملكة دستورية ، عندما يكون لها رئيس وزراء تحبه . اما عندما

يكون لها رئيس وزراء لا تحبه ، مثل جلادستون ، فيختلف الأمر .

كروبتكين : كما كان الأمر مع بالمرستون . عندئذ تتخطى كل شيء وبأية صورة .

ميخالوبولوس: الا أنه مع جلادستون ، كان له أغلبية تبلغ مائة وخمسة عشر صوتا فى مجلس العموم ، ولأنها لم تكن تحب أشياء معينة كان يهدد بتنفيذها ، حاولت هى وقفها .

بريزون : لم يكن يتملقها .

ميخالوبولوس: لم يكن يتملقها . وهذا ما كتبته له « ما من انسان أصدق حبا للحرية من الملكة ، لقد استنكرت دائما ميل هذه الحكومة فى تشجيع تيار الديموقراطية المحطمة التى اصبحت أمرا ينذر بالخطر بدلا من صده ، والا فانى لا اكون ملكة لملكية ديمقراطية » .

بريزون : حسن ، ضع فيما وراء هذا البيان جميع علامات الاستفهام التى أرادت أن تستعملها ولا شك ، ومع ذلك فان انجلترا بنت فى خلال هذه الفترة ديمقراطيتها ووضعت أسس ثورتها العمالية الحاضرة بالرغم من فكتوريا . نحن ننظر الى ذلك العصر باعتباره عصرا لانتشار الحرية بصورة واسعة وباعتباره انتشارا كبيرا للسياسات الحرة ؟

ميخالوبولوس: ان ما يتصف به حكم الملكة فكتوريا ، هو الاستقرار الكبير وانه فى أثناء هذا الاستقرار الكبير وعظمة هذا التسلط الاستعمارى ، تطورت أيضا فكرة كانت غريبة تماما بالنسبة لها لأنها لم تكن تفهمها ـ هى نظريات حرية التجارة .

كروبتكين : كان هنالك أيضا أربعون سنة من السلام . الم يكن هنالك تلك الفترة بين حرب القرم وحرب البوير ؟ وفى أثناء زمن هذا السلم كله ، كان هنالك أمرا واحد كرهته دائما

كراهية تامة فى الملكة فكتوريا ، ولا أظن أن ستراشى قد أبرزه ابرازا وافيا الا فى موضع واحد فى خلال الحديث ، ذلك هو أنها لم تشجع قط أيا من العلماء العظام ، أو الكتاب الكبار أو أيا من عظماء عصرها . أما ألبرت فقد فعل . ولكن ألبرت كان يهتم بظروف العمال التى لم تكن تهتم هى بها .

ميخالوبولوس: لم تكن تهتم .

كروبتكين : كلا ، لم تكن تهتم اطلاقا . ليس هنالك اى اثر يدل على شىء من هـــذا الاهتمام ـ على أية حـال لا فى كتاب ستراشى ، ولا فى أغلب الكتب الأخرى التى قرأتها .

ميخالوبولوس: كلا ، لا أثر أيا كان .

كروبتكين : لم تهتم قط كيف كانت أحوال العمل بالنسبة للنساء ، أو كيف كن يعملن فى المناجم ، تلك الأحوال التى كانت فظيعة كل الفظاعة وغير انسانية . ليس هنالك اى اثر لشىء يدل على مثل هذا الاشتراك فى العاطفة .

ميخالوبولوس: لا أثر . اظن أنه لم يخطر ببالها قــط أن تبحث مثـل هذه الأمور .

كروبتكين : لست أعرف السبب فى ذلك .

ميخالوبولوس: انها امرأة غريبة الأطوار بصور شتى .

كروبتكين : امرأة انانية كما أظن .

بريزون : ولكن الا ترسمين هنا أيتها الأميرة مع المستر ميخالوبولوس صورة تثير الدهش اثارة حقيقية ؟ ان صورة ستراشى لا تصور الواقع بمثل ما أضفت اليهــا . ان ستراشى يقــدم اليك هذه المرأة بعنادها ، واحساســها بالواجب وشعورها بالتفانى ، ثم تنحيها وابتعادها عن شعبها . ولكنك تقولين ان جميع تلك الأشياء التى جعلت انجلترا عظيمة اليوم ، انما هى أمور حدثت بالرغم منها .

كروبتكين : ان انجلترا كانت تتطور من ناحية الديمقراطية بسبب الرخاء الذى عم وبسبب السلام الذى ساد كما أظن .

ميخالوبولوس: وان فكتوريا هيأت كل هذه الأشياء . كانت تحكم فى استقرار تام . كانت سيدة عظيمة وملكة عظيمة .

كروبتكين : كانت امرأة حساسة . كانت جديرة بالاجلال . واظن أن هذا ساعد كثيرا .

ميخالوبولوس: كانت جديرة بالاجلال والاحترام جدا .

بريزون : ان جدارة المرء بالاحترام من الأمور التى نعجب بها جميعا ولكن ما يلوح أنك تقول الآن ــ وانا لست متأكدا أن ستراشي يوافقك بالرغم من انه أعطاك الدليل عليه ــ هو أنك اذا أعطيت الاستقرار الى مملكة لها امكانيات ، واذا أعطيتها كمية معينة من الحرية الأساسية ،فان عظمة الدولة سوف تظهر .

كروبتكين : انى مقتنعة بذلك ، ازاء اية دولة .

ميخالوبولوس: ان اية دولة فيها حيوية سوف تصبح دولة عظيمة بالرغم من أى حكام .

بريزون : ترى هل تعنيان أن عمل الدولة لرفاهية شعبها عمل خطأ لأنه لا حاجة بالشعب الى أن تصنع له شيئا أو يكفى الا تقف فى طريقه .

ميخالوبولوس: ليس لكلامنا بكل تأكيد علاقة بالدولة التى تعمل لرفاهية الشعب . أتبحث عن أصول الدولة الصالحة يا مستر بريزون ؟

بريزون : لقد تأخرت كثيرا فى سؤالك هذا يا مستر ميخالوبولوس. ولكنى اظن أنه علينا أن نعترف بفضل كتاب ستراشي لتوجيهنا الى مثل هذه المناقشة التى دارت بيننا عن الدنيا الحديثة كما انعكست عن انجلترا فى القرن التاسع عشر .

# هيدا جابلر

لهنريك ابسن

# هنريك ابسن

( ١٨٢٦ - ١٩٠٦ )

شاعر مسرحى نرويجى . درس الطب ولكنـــه سرعان ما خصص كل وقته للأدب. عمل مديرا للمسرح الوطنى فى « برجن » حتى سنة ١٨٥٧ . قام برحـــلة قصـــيرة الى كل من « الدنمــرك » و « ألمانيـــا » لدراسة فن المسرح ، ثم عين مديرا للمسرح النرويجى فى كريستيانيـا .

أكسبته مسرحية « كوميديا الحب » - وهى أولى مسرحياته فى نقد المجتمع - شهرة واسعة . حكم على نفسه بالنفى ، ومن ثم ، ترك النرويج . وفى سنة١٨٦٧ لقيتمسرحيته الشعرية « بيرجنت » نجاحا عظيما ، ثم كتب - فى أسلوب نثرى - مسرحية ساخرة بعنوان « اتحاد الشباب » ، واتبـع ذلك بمسرحية تاريخيـة طويلة بعنـوان « الامبراطور والجليـلى » وهى مكونة من جزئين الأول : « ارتداد جوليان » والثانى : « جوليان والامبراطور » . ومن بين كتاباته « أعمـدة المجتمع » و « الأشباح » و « عدو الشعب » و « البطة البرية » و « سيدة من البحر » .

وتمتاز مسرحيتاته - خاصة الأخير منها - بالواقعية فى الحوار ، وان كان عليها طابع الحتمية فى المآســاة اليونانية . ترجمت أعماله الى أغلب اللغات الأوربية ، ومن ثم ، كثرت الكتابات النقدية عنها .

# تعريف بالكتاب

هيدا جابلر فتــاة جميــلة ذكية متعلمة مدللة ، ولكنها كمــا جاء فى الحوار التالى « تعسة حقود فاشلة صارخة الأنانية » فلم يكن أحد من الملتفين بها لجمالها وذكائها يتقدم لخطبتها ، أشفاقا من متاعب الحيــاة الزوجية مع فتاة مثلها كثيرة المطالب قليلة الوفاء .

وناهزت الثلاثين ولم يخطبها أحد يرضاها وترضــاه ، فقبلت أول خطيب يناسبها من الوجهة الاجتماعية ، لأنه طبيب موعود بالترقية الى كرسى الأستاذية ، وفى وســعه اذا ارتقى اليه أن يضمن لهــا المعيشة فى مسكن جميل والرحلة الى بلاد بعيدة والحرية فى الحياة الاجتماعية ، ولكنه لم يكن يناسبها بمزاجه ومظهره ، لأنه كان وخيم الطبع ثقيل الظل قليل الحركة ، تشغله دروسه عن حياة اللهو والمتعة التى تحبها هيدا . ولا يحسن أن يحيا تلك الحياة ولو فرغ لها بعض وقته ، وقلما كان يفرغ لها فى وقت من الأوقات ثم تفاجأ هيــدا بخيبة الأمل فى ترقية زوجها وظهور مزاحم له كان من عشاقها ، ثم تعرف الى فتاة دميمة ضــئيلة ولكنها أسعدته بالمعيشة البيتية الراضية واعانته على الابداع فى عمله ، فألف كتابه الأول ثم أردفه بكتاب آخر أبدع منه وأحرى أن يشهره فوق اشتهاره بباكورة تأليفه ، وقد أخذه معه ذات ليلة الى منزل صــديقه چــورج تيسمان ــ زوج هيدا ــ ليقرأ بعض فصــوله فى السهرة ومعــه صاحبته الطيبة الملهمة ، غريمة هيدا ومنافستها على المؤلف النــاجح وعشيقها الأول ــ واسمه ايليرت لوفبيرج .

وقد علمت هيدا من سيرة زوجها أنه كان على صلة بالفتاة الطيبة الملهمة ( ثى الفستد ) قبل أن يهجرها ليخطب هيدا لأنها أجمل وأرشق

منها واقدر على « الاضاءة » فى الحياة الاجتماعية ، فمز عليها أن تستطيع هذه « المخلوقة الضئيلة » ما لم تستطعه هى من الهام صاحبها ومعونته على النجاح فى عمله ، فحقدت عليها وأجمعت النية أن تكيد لها وان تفسد ما بينها وبين المؤلف النـاجح الذى تحـول عن حبها الى حب « فأرة مزدراة فى عينيها » .

واتفق عند وصول « الفستد » الى مسكن تيسمان أن لقيه متأهبا للخروج مع صديقه القاضى براك لزيارة صديق لهما أعزب يحيى فى منزله سهرة خاصة ، فدعاه تيسمان لمصاحبته الى تلك السـهرة ، وتردد « الفستد » فى قبول الدعوة ولكنه قبلها بعد اغراء « هيدا » له بالذهاب اليها لأنها أرادت أن تغتنم فرصة الانفراد « بالمخلوقة الزرية » لتدبير مكيدتها . وكان تيسمان أول العائدين من السهرة ، وعاد بعده «الفستد» ولكنه كان قد أضاع فى الطريق مخطوطة كتابه الجديد ، فادعى عنـد عودته الى هيدا أنه أتلفها ثم اعترف لها بضياعها ، وعلم تيسمان بالخبر فبحث عن الكتاب المخطوط حيث ظن أنه سقط من صاحبه فى دار مريبة عرجا عليها بعد السهرة « المعربدة » بمسكن صديقهما الأعزب .

الا أن « هيدا » لم تشأ أن ترد المخطوطة الى المؤلف الناجح ، بل شجعته على قتل نفسه قنوطا وغما حين فاتحها بنيته الأليمة ، وقدمت له هدية « أخيرة » تعينه على انجاز نيته على « نحو جميل » ... وهى مسدس نفيس من مسدسين اثنين ورثتهما عن أبيها القائد المقـدم ولم تبق لها بقية غيرهما من ميراثه القليل .

وعمدت هيدا الى المخطوط فقذفت بها فى النار ، وقتل الفستد فتولى التحقيق فى أسباب مقتله صديق الأسرة القاضى براك الذى كان معهم فى السهرة المعربدة ، وكان براك يعشق « هيدا » ويغازلها فتصده عنها ولا تيئسه من مراجعتها . فلما كشف التحقيق فى أمر المسدس عن دسيسة « هيدا » أراد القاضى أن يستخدم هـذا السر لاخضاع معشوقته النافرة ، ولكنها كانت قد سئمت الحياة وعلمت انها ستواجه

معيشة الحسرة والكفاف بعد خيبة زوجها ومصرع عشيقها وغلبة الوسواس من أثر الجريمة على وجدانها فتركت للمسدس الآخر ان يؤدي عمله الوحيد بعد فعلة « المسدس » الذى ظل يهددها من مكانه فى مكتب التحقيق . . . فاطلقته على رأسها وذهبت غير مأسوف عليها .

هذه هى الخطوط البارزة فى قصة « هيدا جابلر » المشهورة . وهى « شخص مسرحى » من الشخوص النسوية فى روايات « ابسن » الكثيرة ، ولكنها أشهر هذه الشخوص والصقها باسمه ونماذج فنه ، تذكر هيدا كلما ذكر ابسن كما يذكر هملت كلما ذكر شكسبير على حد قول الأديبة الدنمركية «ايفالىجالينى» فيما يلى من حوار . وسرهذا التلازم بين اسم ابسن واسم هيدا انها تمثل « خصوصيات » ابسن فى تصوير نسائه أو تصوير المرأة الشمالية فى زمنه على العموم ، فلم يجتمع لاحدى بطلاته كل ما اجتمع لهذه « البطلة » من غرائب التمرد والجموح والتناقض بينها وبين العرف وبين المأثور من السجايا النسوية ، مع الصدق البالغ فى تصوير الطبيعة على حقيقتها ، كلما انحرفت الطبيعة هذا الانحراف .

وقد قيل فى التعريف بفضل ابسن على فن التمثيل الحديث انه نقل الحياة الى المسرح ، وهو قول صادق لا مبالغة فيه على الاجمال .

ولكن المؤلفين المتقدمين قد نقلوا الحياة الى مسارحهم وأقاموا دعائم المسارح كلها على هذا الأساس الذى لا قوام لمسرح من المسارح بغيره . . وماذا صنع شعراء اليونان والأسبان والفرنسيين والانجليز منذ القرن الخامس قبل الميلاد الى ما قبل مولد ابسن فى موطنه ببلاد النرويج ؟ . . انهم لم يصنعوا شيئا غير نقل الحياة الى المسرح وتقريب المسرح الى الحياة ، ولولا ذلك لما كان للمسرح وجود ولا استحب الناس أن ينظروا الى مثال معروض عليه . واسم التمثيل عندنا باللغة العربية من وحى البداهة التى تدل على معنى هذا الفن عند المشتغلين به والناظرين اليه ، وكلمات الفلاسفة الاغريق تعريفا بهذا الفن دليل على الموافقة بين وحى

البديهة وعمل التفكير الفلسفي القديم في فهم رسالة المسرح ، لأنهم قالوا في التعريف بالتمثيل انه « محاكاة الحياة » . لكن الكلمة التي قيلت عن فضل « ابسن » على المسرح لا تزال صادقة مقبولة ، مع قليل من التفرقة بين مسرح ومسرح ، وحياة وحياة .

لقد كان المؤلفون ، أو أكثر المؤلفين ، قبل أبسن ينقلون الحياة الى المسرح ولا يشبهون ابسن مع ذلك كل الشبه في الأصل الذي ينقلون عنه ولا في الصورة التي ينقلونها .

كانوا ينقلون حياة البطولة ، أو ينقلون حياة الهزل والسخرية ، أو ينقلون الحياة التي نحبها ونتمناها ، أو الحياة التي نعطف عليها وتستجيب لدعوتها ، وكانوا يصدقون النقل عن شعورنا — نحن المتفرجين فيصورون لنا الحياة كما تروعنا وتروقنا أو كما تضحكنا وتسلينا ، أو كما تعلمنا وتبلغ منا مبلغ الموعظة والاعتبار ، وكانوا يعطوننا صورة نفوسنا حين نجد وحين نضحك ، قبل أن يعطونا الصورة الظاهرة والخفية في نفوس أولئك المخلوقات المعروضة على مسارح التمثيل .

ولكن الجديد في الكاتب النرويجي أنه التفت الى شخوص المسرح قبل أن يلتفت الينا ، فليس ابطاله ولا بطلاته ممن نحبهم ونعجب بهم ولا هم من الذين نترقبهم ونتمنى لقاءهم ، ولكنهم مخلوقات غريبة تطالعنا أحيانا كأنها تقتحم الطريق الى قلوبنا ومشاعرنا ، وكأنها تعيش بحقها في الوجود ولا تعيش بحقنا نحن في الرضى عنها والعطف عليها .. وشفاعتها الكبرى أنها — على غرابتها — موجودة تذهب وتجيء في دنيانا ولا نحب ان نلتفت اليها ، وانما كان فضل المؤلف أنه أرانا ما ينبغي أن نراه وان كنا لا نحب أن نلتفت اليه .

ويندر في مسرح ابسن أن ترى «الشخصية المحبوبة» التي يرضيك أن تلقاها في حياتك ، بل يندر في هذا المسرح أن تلقى « الشخصية المظلومة » التي تود أن تنصفها من ظلمها أو تود أن تقتص لها ممن جنى عليها ، فانك كلما هممت بالقاء الجناية على المسئول عنها في وهمك وجدته

ضحية مظلومة كمن جنت عليه ، ولا يختلف شـأن المجتمع كله فى هذه الخصلة عن شأن هذا البطل أو هذه البطلة من شخوص الرواية ، فان المجتمع كله قد يلقى التبعة ــ آخـر الأمر ــ على الطبيعة البشرية ، أو على الطبيعة الأبدية كلها بما اشتملت عليه من أرض وسماء ومن حى وجماد .

ولم يكتب ابسن قط للعبرة والموعظة أو لتلقين الدروس فى عواقب الخير والشر وذرائع الاصلاح والتأديب ، ولكنه يصدق النقل عن الواقع فيعطينا كل ما يعطيه الواقع من أسباب الاعتبار والاتعاظ وقواعد الأدب والصـــلاح .

وهذه « هيدا جابلر » أغرب شخوصه المنحرفة ، بل أغرب غيلانه المقوتة ، لا تستعصى على طالب العظة اذا أرادها وأراد أن يفيد منهـا المجتمع الانسانى ثمرة نافعة وراء العلم بالواقع من طريق الفن الجميل .

ان « هيدا » مثل للأنانية ــ الضائعة بين المدللين والمضللين ،وان هذه « الأنانيـــة » المضللة مثل للفساد الذى يجنيه التدليل ويغـذيه الغرور بالوجه الجميل دون الخلق الجميل ثم تتفتح له مسالك الشر مع البطالة والترفع عن شواغل الوقت بغير اللهو والمتاع القريب ، وقد توصف هذه الأنانية المضللة بالطمع الموبق والشراهة الجامحة ، ولكنها فى حقيقتها داء من أدواء « القناعة » بالجهد اليسير الهين والنفور من الجهد الدائب الحثيث ، فلا تنقاد له طبيعة تتعود العمل وتصبر على الدأب ، وانمـا تنقاد له كل طبيعة تعجز عن العمل والدأب فتقنع باللهو السهل والفراغ العقيم .

يقول بريزون فى فاتحـة الحوار « ان ابسن كان يعرف من دخـائل النساء أكثر مما يعرفه أى رجل يدعى المعرفة بهن ... ومن المؤكد انه لم يكن يهتم بشئونهن من أجل حالتهن الاجتماعية فى مجتمع عصره فحسب ... وانما اهتم بهن باعتبارهن كائنات بشرية ... » .

وهذه أيضا ذريعة دائمة للموعظة والاعتبار فان الطبيعة البشرية فى المرأة والرجل عرضة للفساد من جانب هذه « الأنانية » التى جنت على

تلك الشخصية المسرحيــة وتجنى على شخصيات كثيرة مثلهــا فى عالم الواقع ، وليست « هيدا » بالمثل الفريد فيمــا تصوره ابسن من نســاء الخيال فانه لم يصور ضحية واحدة من ضحاياه الاناث لا تتكرر كل يوم فى انسان حى يصــاب بمثل ما أصيبت به مما جنته على نفسها ومما جناه الناس عليها ، لا فرق بين الطبيعة البشرية فى المرأة . والطبيعة البشرية فى الرجل ، ولا فرق فيها بين أبناء الشمال وأبناء الجنوب .

**عباس محمود العقاد**

# الحـــوار

(١) ايفالى جـاليين . (٢) لويس كرونبرجـر .
(٣) ليمان بريزون .

بريزون : افترض أن ابسن كان يعرف من دخائل النساء أكثر مما يعرف أى رجل يدعى المعرفة بهن . ولما لم أكن امرأة ، فلا أستطيع أن أقطع بذلك . ومن المؤكد أنه لم يكن يهتم بشئونهن من أجل حالتهن الاجتماعيـة فى مجتمع عصره فحسب ـ ذلك المجتمع الذى نرى أنه كان الى حد مـا فاسدا قاسيا ـ وانما اهتم بهن باعتبارهن كائنات بشرية. وربما يكون المفتاح الى فهم ابسن ، أنه فكر فى النسـاء باعتبارهن بشرا . والحق أن أحدا من قبل ، لم ينظر اليهن هذه النظرة الفاحصة .

لى جاليين : ماعدا أنه كان ينظر اليهن فى اسكنديناوه على أنهن بشر ، أكثر مما كان ينظر اليهن فى العالم الأنجلو ـ سكسونى .

بريزون : ان انحدارك من أصل دنمركى هو ما جعلك تقولين هذا .

لى جاليين : كلا ثم كلا . انك تتجه الى روايات البطولة القديمة لأهل الشمال . هذا صحيح .

---

(١) Eva le Gallienne ممثلة ، اسست المسرح الأهلى النموذجى .

(٢) Louis Kronenberger محاضر ومؤلف ويشغل منصب الناقـد المسرحى لمجلة « تايم » .

(٣) Lymar Bryson الرئيس الدائم لندوات ( حول مائدة المعرفة ). يعمل استاذا للتربية فى كلية المعلمين التابعة لجامعة كولومبيا .

كرونبرجر : حسن هذا . وربما جعلن من أنفسهن كائنات ينظر اليهن باعتبارهن بشرا ، أكثر من ذى قبل .

لى جاليين : محتمل هذا .

بريزون : ما أسرع ما كان يظهر أبطال من اسكانديناوه ، حتى تظهر بطلات . أما ابسن فصور لنا بطلة غريبة الأطوار يا مس لى جاليين . ولم تكن شخصا مستحبا .

لى جاليين : كلا ، لم تكن كذلك ، فقد كانت تعسة حقودة فاشلة صارخة الأنانية . ويحتمل أن تكون هذه الحالة هى أول دراسة نفسية كاملة عن المرأة كتبت للمسرح بالمعنى الحديث . ألا ترى ذلك ؟

بريزون : أى نعم ، فان ابسن ، من حيث معارضته اليونان وكبار كتاب المسرحية الفرنسيين وشكسبير ، كان أعمق منهم جميعا . أهذا ما ترى ؟

لى جاليين : أى نعم ، هو هذا ، وأرى أيضا انه تناول جميع الفوارق الصغيرة ، فى حين كان اليونان يعالجون الأمور بصورة شاملة . لقد تعمق ابسن ، وتغلغل فى جميع الظلال . انه لأمر عجب أن تعلم الى أى مدى كان خبيرا بشئون النساء . ان ذلك على التأكيد لمن خوارق الأشياء .

كرونبرجر : ألا ترى أن هيدا كانت مصابة بنوع من الحساسية العصبية ، جديد على المسرح ؟ وفق ما كان هاملت شيئا جديدا ، وأصبح فيما بعد طرازا خاصا ومثالا يحتذى .

لى جاليين : هذا حق . ويلوح لى أن هيدا جابلر ربما تبدو لجمهور ابسن كما يبدو هاملت لجمهور شكسبير . فانك فى غالب الأحيان عندما تذكر ابسن ، يتجه فكر الجمهور دائما الى هيدا جابلر .

بريزون : استغرق أذن الجنس البشرى مائتى عام بعد شكسبير ،

ليدرك أن النساء قد يضبن بالأمراض العصبية كالرجال؟

لى جاليين : حسن ، وينبغى عليك أن تتذكر أنه فى عصر شكسبير كان الغلمان يقومون بأدوار النساء . ولا أظن أن غلاما يستطيع أداء دور هيدا جابلر . وهذا على وجه الدقة الفرق بين النهج القديم والنهج الحديث فى النظر الى المرأة .

بريزون : اذن فعليك أن تحصلى على الاتجاه المسرحى الحديث ، قبل أن تحصلى على المرأة الحديثة فى المسرح . ولكن لماذا تقولين بأنها كانت فاشلة ؟ كانت من أسرة طيبة ، ولم تكن على التحقيق تعسة الا حين أتعست نفسها . فيم كان الفشل ؟

لى جاليين : حسن ، فقد وجدت حيث لا يجب أن توجد ، وعاشت فى وسط لا يناسبها . وأظن أنها كانت فى الحقيقة ارستقراطية المولد . وجدت نفسها فى أخس أجواء الطبقة الوسطى وأفسدها ، وأحست بأنها وقعت فى شباكها . ولا شك فى أنها لم تكن امرأة مستحبة ، أما مقدمتك فصحيحة من حيث هذا . لقد كانت أنانية .

بريزون : ولماذا تزوجت الأستاذ تسمان ، ذلك التافه الذى تأخذه العين . لقد كانت ابنة جنرال قبل كل شىء .

لى جاليين : اظن أن سمعتها كانت قد فسدت تماما . ففى البداية ، توفى والدها ثم تورطت تماما مع لوفبورج ...

بريزون : الشاعر ؟

لى جاليين : ... المعروف باستهانته وتحلله من التقاليد . لقد تورطت معه حتى لقد كثرت عنهما الأقاويل . وأنت تعلم أيضا انها كانت تقول لبراك ان الرقص أجهدها ولكنها تستمر فيه . لم تعترف أنها تتقدم فى السن ، وما كانت لتنطق بذلك . هى فى الثلاثين . واذ ذاك ، كانت فى السن التى لابد من أن تتزوج فيها .

كرونبرجر : اظن ذلك . لكن أليس هنالك شعور بين الناس الذين ترعرعت بينهم هيدا ، بأنها من طراز غير مناسب . انهم لا يثقون بها ، ويعرفون أنها تختلف بعض الشيء عنهم ، ولا تهتم بأن تبدو لطيفة نحوهم . أن امرأة وصولية مثل « بيكى شارب » ، التى تتمتع ببعض صفات هيدا ، تبدو حريصة للغاية عندما تختلط بالطبقة العليا . غير أن هيدا ربما كانت تستهزىء بهؤلاء ، وتظهر بمظهر من لا يأبه بهم .

بريزون : كانت تنظر الى نفسها كأنما هى ارستقراطية حقيقة .

لى جاليين : اى نعم ، وربما كانت تتمتع ببعض الطباع السيئة التى يتشامخ بها بعض الأرستقراطيين .

كرونبرجر : انها مثال المرأة التى ترى أنها غير مكتملة السعادة فى مجتمع متمسك بالتقاليد الى أقصى الحدود بيد أنها تكون أقل سعادة عند بعدها عنه .

بريزون : هذا حق على التأكيد يامستر كرونبرجر ، ولكنها كانت أيضا متمسكة بالتقاليد . الا يستنتج مما قالته مس لى جاليين ــ أنها ما كانت لتذهب مع لوفبورج ، وما كانت لتتزوجه ؟

لى جاليين : كلا ثم كلا ثم كلا . فقد كانت شديدة التمسك بالتقاليد .

كرونبرجر : حسن اذن ، ومن أجل هذا أقول انها تكون أقل سعادة وهى فى بيئة أخرى ، عما تكون فى بيئتها ، لأنها لاتستطيع فى الحقيقة أن تبتعد كثيرا عما هو تمسك بالتقاليد .

بريزون : ما كانت لتذهب مع الشاعر وأن تصبح مستهينة خارجة على التقاليد .

كرونبرجر : كلا ، فانها ما كانت لتصبح بوهيمية قط .

لى جاليين : كلا على الاطلاق . وارى من واقع الأمر ان ذلك احد

الأسباب التى من أجلها تتبرم بثيا اى مسز الستد تبرما كبيرا ، لأن مسز الستد ، تحب لوفبورج ، وترغب فى أن تتمادى فى هذا الحب ، ولها قدرة كافية على أن تفعل ذلك ، فى حين أن هيدا لم تستطع ذلك قط ، لأنها كانت تخشى دائما أن يتقول عليها الناس ، بشىء يعتبر خارجا على التقاليد .

بريزون : ان تمسكها بالتقاليد جعلها تجبن ، كما كان السبب فى فشلها ، وجعلها شخصية تراجيدية .

لى جاليين : انت محق ، واظن ايضا أن تمسكها بالتقاليد ، هو الذى حملها على أن تطلق على نفسها النار .

بريزون : لقد تنكبت بذلك طريق التقاليد ؟

لى جاليين : انها ما كانت لتواجه موقفا قذرا أو مسيئا على أية حال من الأحوال . واظن أن عبارة « الشرف له التزاماته » كانت دائما تجول بخاطرها . وأن « الشرف له التزاماته » فى هذا الوقت كان أمرا غظيما ، وانى لموقنة بأن والدها اعتاد ان يقول لها « الشرف له التزاماته » .

كرونبرجر : اى نعم ، واعتقد انها ربما كانت تملك هذه الشجاعة ـ وهى ليست شجاعة ناشئة عن ايمانها ، وانما هى شجاعة الطبقة التى تنتمى اليها .

لى جاليين : هذا حق ، وهو ما أقصد اليه تماما .

بريزون : لكن انظرى الآن كيف صارت الأمور . انها غلطة مريرة ولا شك بالنظر الى مطالبها من الحياة ، تلك التى ارتكبتها بزواجها من ذلك المتعالم الأستاذ الصغير تسمان . انها ما كانت لتسعد معه مطلقا . هذا واضح تماما .

لى جاليين : لا أظن انها كانت تملك اى اختيار فى الحقيقــة . أترى ذلك انت ؟

بريزون : ربما لا أرى ذلك ، ولكنها لم تحاول جهدها أن تسعد معه . كانت تمتهن أقاربه ، وتعامله ببغض ، وأفصحت تماما عن ضجرها . وأتذكرك وانت تمثلين هذا الدور يا مس لى جاليين ، وانى لموقن أن هيدا كانت كذلك . فانك لم تكونى مبعث سرور كبير لتسمان فى هذه التمثيلية ، ومن ثم فانه عندما عاد عشيقها الشاعر أو صديقها الشاعر لوفبورج ثانية ، وكانت تفكر فيه باعتباره أغنية حبها فى الحياة ، لم تعامله معاملة حسنة هو الآخر ، اذ عاملته فى الحقيقة بمقت . أكانت بذلك تضرب بالحياة عرض الحائط ؟

لى جاليين : الى حد ما . وانى لأشك أنها كانت تدرك أنها تعامله بمقت . واظن أنها أرادت أن تحرره من نوع من ... أستطيع أن أقول نوعا من الاستعباد . وانك لتدرك أن ثيا ، أرادت أن تجعل منه مواطنا عاديا ، كريما ، يحترم نفسه ، أما هيدا فأحست بأنه ينبغى له أن يعطى من الحرية ما يؤهل به أن يكون عبقريا .

بريزون : ومع ذلك فانها ما كانت لتتمادى معه فى هذه الحرية .

لى جاليين : كلا ، ما كانت لتتمادى .

بريزون : فكرت فى أنه كان ينبغى عليه هو أن يتمادى فى تحرره ، وخاب أملها فيه لأنه لم يفعل .

لى جالنين : أى نعم ، أعتقد ذلك .

بريزون : اما ما انغمس فيه فمعاقرة الخمر .

لى جالنين : أى نعم ، فعل ذلك . وفى نهاية المطاف خيب ظنها فيه خيبة مرة ، لأنه لم ينفذ وعده لها ، وهو أن يطلق على نفسه الرصاص . لقد تسبب فى أن يصاب بالرصاص فى حادثة شنيعة قذرة جد القذارة ، وقد أساء هذا بكل

تأكيد إلى شعورها بحس الجمال ، الذى كان يتملكها من الأعمـاق .

بريزون : لكننا نستطيع يا مس لى جاليين أن نتذكر ذلك المنظر المخيف المفزع الذى تناولت فيه المخطوط الذى تعتقد أنه الشىء الجميل الوحيد فى حياة شاعرها ، ذلك الشىء الذى كانت تظن أنها ساعدت فى خلقه . كانت تعتقد أن ذلك لم يكن فى مقدوره ...

لى جاليين : هذا حق ، ولكن « كان فى مقدورى » .

بريزون : ألهذا أحرقته .

لى جاليين : أغلب الظن أن هذا احد الأسباب التى من أجلها أحرقته .

بريزون : لكنها دمرت أحسن ناحية فى هذا الرجل ، كانت تمثل لها على الأقل صورة أو لمحة خاطفة للحظة من المجد والحرية .

لى جاليين : أى نعم ، فانى لا أعتقـــد أن هيـدا فكرت قط فى ذلك المخطوط باتجـاه فكرى . ان الكلمة المشـــئومة التى استعملت انما هى « الطفل » بين ثيا ولوفبورج . الا ترى ذلك يا مستر كرونتبرجر .

كرونتبرجر : لقد كان الطفل طفل المرأة الأخرى يا مس لى جاليين . ولم يكن لها أيضا علاقة بذلك .

لى جاليين : هو هذا . وكانت هى نفسها تحمل طفل تسمان .

بريزون : طفل حقيقى .

لى جاليين : الطفل الحقيقى الذى كانت تنظر اليه بامتعاض .

كرونتبرجر : بدأ هذا التنافر يصبح كريها بصورة تتزايد حدتها . لكن ألم تتمتع هيدا فى الواقع بنوع من القدرة على الابتــكار كانت الى الافساد أكثر منها الى الانشاء .

لى جاليين : أى نعم . أعتقد أنها كانت تملك هذه القدرة .

كرونتبرجر : هو ذلك النوع من القدرة على الابتكارية الهـدامة التى كانت عند اياجو .

لى جاليين : هذا حق . انها لقدرة ، وانها لقوة ، وانها لهدامة .

كرونتبرجر : كانوا يتدخـلون فى كل شىء . ما كانوا ليتركوا اى شىء حسن على حاله . كان لابد لهم أن يتطفلوا ويتدخـلوا ويفسـدوا .

لى جاليين : اعتقد ان هذه ملاحظة حسنة تماما .

بريزون : يلوح لى يا مستر كرونتبرجر أن هذا يجعلها اكثر شرا مما بدت . ان ما تقول انما يعنى أنها كانت ذات طبيعة تجعل منها شخصية هدامة شريرة ، بالرغم من أى مآل تؤول اليـه .

كرونتبرجر : حسن ، فهنا نقع على ضرب من القوى الهادمة فى صورة اكثر نطقا ، وهو ضرب أقرب كثيرا الى بيكى شارب منه الى اياجو . اقصد القول أنه ليس هنالك اى صفة من الصفات الأدبية الثابتة سواء أكانت حسنة أم سيئة ، ولكنى أعتقد أن هنالك أناسـا لابد لهم من أن يتطفـلوا ويفسدوا ، ذلك لأنهم لا يستطيعون الابتكار .

بريزون : ان ما أدركت يا مستر كرونتبرجر هو : اننا عادة ننظر الى ابسن ، وربما كنا ننظر اليه فى هـذه الرواية نظرة أدنى من نظرتنا اليه فى معظم رواياته ، باعتبـار أنه كان دائما مهتما باظهار الفرد ــ وغالبـا ما يكون امرأة ــ فى مأزق اجتماعى ، بصورة تجعلك تشعر أنه اذا كان المجتمع أفضل مما هو ، أو اذا كان المجتمع مختلفا عما هو ، اذن لعاش هذا الفرد حياة جميلة ، لا حياة فظيعة مؤسية أو هادمة . والآن تقول ان هيدا لم تكن ذلك الفرد المأسور فى ذلك المأزق الاجتماعى الذى وجدت نفسها فيه أصلا ، ولكن كانت طبيعتها هى التى جعلتها شريرة .

لى جالبين : اذا كان هـذا ما تقصـد يا مستر كرونبرجر فانى لا أوافقك .

بريزون : أليس هذا ما قصدت ؟

كرونبرجر : اظن أنها وليدة عالم بذاته ، وبما أنها وليدة هذا العالم ، فأرى أنها لم تستطع يوما أن تدرك ذاتيتها ، ولم تستطع أن تصبح سيدة نبيلة مبتكرة على الصورة التى توهمتها. ويلوح لى بأنها لابد من ثمت أن تفسد مرح الآخرين شيئا ما ، ولابد اذن من أن تتدخل فى الأمور . طلبت التسلط أكثر مما طلبت أى شىء آخر .

لى جالبين : كانت تشتهى التسلط والنفوذ .

بريزون : اذن فهذه ليست مسرحية كمسرحية بيت الدمية مثلا ، التى يعتقد ان ابسن صور فيها تصرفاتنا مع النساء ، أكثر مما صور النساء بما هم عليه .

كرونبرجر : اظن أن هذه هى النقيض التام لبيت الدمية .

لى جالبين : وأرى ذلك أيضا .

كرونبرجر : يقول ابسن فى بيت الدمية « ينبغى أن يكون للنساء حرية ينمينها » ويقول فى هذه المسرحية « لا ينبغى أن يكون للنساء حرية ليهدمنها » بعبارة أخرى ، فهذه امرأة تسىء استعمال الحرية ، اذ أنها تستعملها بلا أى احساس بالمسئولية الأدبية ، وأرى أنه افصح هنالك ، تماما كما أفصح فى مسرحية « البطة البرية » عن عدم تأييده لأن نبث فى الآخرين معرفة بأشياء لا فائدة ولا غناء فيها ولا تعود بفائدة على أى مخلوق .

لى جالبين : لقد احسست دائما أن ابسن فى مسرحية هيـدا لم يفكر فى الحقيقة كثيرا من وجهة نظر اجتماعية . أظن أنه كان يصور امرأة من وجهة النظر النفسية. ولقد أحسست

دائما انه لو كانت هيدا قد تزوجت من دبلوماسى مثلا أو من شخص تحيط به مجموعة من الشخصيات البارزة، فأصبحت سيدة صالون يضم اللامعين من نجوم المجتمع، وكانت تقابل شخصيات لامعة وتتصل بهم على الدوام ، وتمكنت من أن تصبح مضيفة مشهورة ، اذن لسعدت تماما ، ولما كانت حياتها مؤسية بهذه الصورة .

كرونبرجر : اتفق معك . فهذا ما أقصد . فلو أنها كانت سيدة عظيمة ، أو كانت القطب فى جمعية ممتازة حقا ...

بريزون : اذن لسعدت .

لى جاليين : اى نعم . اعتقد أنها كانت تستطيع أن تسعد .

بريزون : أدرك هذا . واذن فهى ليست شريرة . وقبل كل شىء فان اياجو ما كان ليسعد بهذا .

لى جاليين : لم اشعر مطلقا بأنها كانت شريرة .

كرونبرجر : كلا ، لم أقصد أن أبرز هذه المسألة . ولكنها مخربة .

بريزون : لقد أعطيت جوابا واحدا فيما يتعلق بالسبب الذى من أجله كانت « هيدا » فى نفس الوقت متقدمة على عصرها، وكذلك بعيدة عن روح العصر ، أى أنها ليست طرازا مألوفا ، بل شخصية فريدة ، مستقلة تماما عن غيرها .

لى جاليين : عجبا . هى كذلك . كانت صارخة الفردية .

بريزون : لم تكن وليدة عصر أو حالة اجتماعية .

لى جاليين : كلا . أظن أنها كانت فردا صارخ الفردية .

بريزون : وما خطب الشخصيات الأخرى ؟ ما خطب هذا الدعى المتعالم ، ذلك الأستاذ تسمان الذى تزوجته ، وكان عاجزا كل العجز عن أن يجعلها تشعر بأى احساس ؟

لى جاليين : اى نعم ، فقد كان لا يلائمها . ولكن تسمان كان غالبا ما يشخص مهرجا فى الوقت نفسه .

بريزون : انه رجل دعى ظريف .

لى جالبين : هو كذلك . وليس رجلا دعيا ظريفا فحسب ، بل لقد منح أجازات دكتوراة فخرية من بعض جامعات فى ألمانيا وفى الخارج . وانك لتعلم أن الناس لا تدرك هذه الأمور. لقد نالت أعماله استحسانا كبيرا .

بريزون : ولكنه ضيق الفكر محصور الأفق .

لى جالبين : حقا انه دعى متعالم وكان الجمع والتصنيف هما أروع أعماله .

بريزون : اشعر انه من الضرورى الدفاع عن الأساتذة فى بعض الأحيان .

لى جالبين : أظن أنه يجب الدفاع عنه . فهو ليس بالرجل الأحمق ، ولا ينبغى أن يشخص بأنه أحمق . انه يضايق هيدا ويثير أعصابها بدرجة فظيعة لاغير .

كرونتبرجر : انه يهز أعصابها ، وسلطانها عليه كان هين المنال ـ وهنالك تلك الجملة الشهيرة « تخيلى هذا ياهيدا » التى يستعملها دائما .

لى جالبين : المهم ان هذه عبارة كانت تتكرر باستمرار ، والواقع أن المعنى الحقيقى لهذه العبارة النروجية هو « فكرى فى هذا » و « تخيلى هذا » ذلك يبعث قليلا من الخيال فى العبارة .

كرونتبرجر : ولكن هذا يعنى أنه كان يتأثر دائما بأكثر الأشياء تفاهة .

لى جالبين : إنه كالطفل . يعيش مندمجا فى أحداث الساعة ، وكأن به نوعا من الحيرة . كان سليم الطوية بصورة غريبة. ولكنه ظريف . انه رجل مستحب .

بريزون : وما خطب الرجل الآخر الذى خيب آمالها أيضا ، لوفبورج شاعرها ؟ ما خطبه ؟ كان موهوبا وكان مستهينا .

لى جالبين : أفكر دائما فى لوفبورج كأنه رجلان .

بريزون : رجلان ؟
لى جاليين : أى نعم . أحدهما حساس جدا ، ذكى ، شاعرى ، خير ، مهذب . أما الآخر فالشيطان . ويظهر الشيطان عندما يسكر . ويصبح فى اللحظة التى يبدأ فيها شرب الخمر كجيكل وهايد .
بريزون : أيهما تحب هيدا ؟
لى جاليين : اعتقد أن هيدا كانت تحب الشيطان ، أما مسز الستد فكانت تحب لوفبورج الحقيقى .
بريزون : ولهذا كانت تكره مسز الستد .
لى جاليين : أى نعم ، أظن ذلك . ولقد قال الناس دائما : كيف يمكن أن تحب امرأتان مختلفتان نفس الصورة ، نفس الرجل ؟ ويلوح لى أنهما لم تحبا نفس الرجل . فقد أحبت كل منهما ناحية فيه . أحبت هيدا ناحية وأحبت الأخرى الناحية الثانية .
بريزون : لنفرض أن الظروف اختلفت بعض الشىء ، وأنها استطاعت أن تخضع لوفبورج بالطريقة التى أخضعت بها تسمان الذى لم يلائمها قط ـ اكانت اذن خلقت من طبيعته الشيطانية شاعرا كبيرا ؟
لى جاليين : لا أرى ذلك .
بريزون : وبعبارة أخرى ، كان يخيب ظنها اذ ذاك أيضا .
لى جاليين : أى نعم ، وانى لأرتاب فيما اذا كان لوفبورج عبقريا حقيقة . ماذا ترى ؟
كرونبرجر : كل ذلك نسبى . فقد كان عبقريا اذا قيس بتسمان .
لى جاليين : كان أكثر استثارة لها فى الحقيقة .
كرونبرجر : ولكن الا تظنين أن الناحية الخيرة فيه لم تكن تؤثر فى هيدا .

لى جالبين : هذا صحيح . انك على حق .

كرونشبرجر : وهذا أحد الأسباب التى جعلتها غير مجدية لثيا .

لى جالبين : هذا صحيح . انك لمصيب تماما . ان الناحية الخيرة فى لوفبورج ما كانت لتثار .

بريزون : كانت تستثير فيه الشيطان .

لى جالبين : هو هيدا .

بريزون : أما تسمان فلم يكن به شيطان .

لى جالبين : كلا ثم كلا . لا شيطان بأية صورة . ما كان ليعرف على التحقيق معنى ذلك .

بريزون : ولكن ما خطب براك ، ذلك الرجل الهادىء المتمرس فى أساليب الحياة والذى وجد نفسه فى المكان الصحيح ؛ ذاك الذى يفرض نفسه على هيدا عندما يراها فى مأزق ويحذرها عند اللزوم ، وعند ذلك يبادر بأن ينتزع منها ضريبة ما . ما خطبه ؟ أهو مثـال القوة التى تخلقها الظروف لاغير ؟ أهو العرف يتغلغل هنالك ؟

لى جالبين : كلا ، يبدو لى أنه كان رجـلا يحيا حياة رغدة وأنه قضى على مستقبله وأما الآن فهو يعيش بشعور غيره فى إيثـار ومحبة ، وأرى أنه كان دائما يميل الى هيدا ، حتى قبل زواجها ، ولكنه كان حذرا للغاية فى علاقاته معهـا حتى أصبحت بالفعل مسز تسمان .

بريزون : والآن ولما حدثت لها متاعب صار على اسـتعداد لأن يأخـذها لنفسه أليس كذلك ؟ انه يقول ما معنـاه « انك الآن لى » .

لى جالبين : اى نعم ، فان جميـع مشاهدهما كمباريات الشيش . فانهما ينتميان لنفس البيئـة ، وهذا هو السبب فيمـا بينهما من تحالف .

كرونبرجر : هذا احد الاسباب . انه يمثل البيئة التى خرجت هى منها ، وهى ، كما لا ازال أعتقد ، اكثر البيئات ملاءمة لها ، مع انها ليست سعيدة فيها ، او هى ترى انها ليست سعيدة .

بريزون : ومع هذا فانها عندما تانس ان براك يستطيع أن يجعلها تفعل كل ما يحلو له — ان يتخذ منها خطية اذا اراد .

لى جاليين : ما كانت لتفعل ذلك .

بريزون : ذلك عندما اطلقت على نفسها الرصاص .

لى جاليين : ومن هنا اعتقد أن فكرة « الشرف له التزاماته » تصبح قوية جدا ، وتعطيها نوعا من الشهامة والشجاعة لا معدى للمرء من الاعجاب الشديد به . ومع هذا ، ليس من السهل أن يطلق الانسان على نفسه الرصاص . أو انني انا على الأقل أرى أن الأمر ليس سهلا .

بريزون : أنت تظنين اذن أنها استمدت هذه الشجاعة لأن تمسكها بالتقاليد بمعناه الوضيع ، بل أقصد شعورها بالجدارة والوقار والحشمة .

لى جاليين : تدقيقها وتحريها أن تصنع ما تريد في أحكام شديد .

بريزون : هذا قذر وشر . هذا موقف لا تقبله امرأة محترمة قط . الموت أفضل .

لى جاليين : اى نعم . هذا حق .

كرونبرجر : لست على يقين من أن الانتحار امر ضرورى لازم . انها لم تلعب أوراقها الأخيرة بعد . لا أجد عيبا فى هذا ، ذلك بأنى أعتقد انها معقدة الشخصية ، ولكن اعتراضى الوحيد الحقيقى على المسرحية هو أن المواقف الهامة قد بدأت تتكدس كلها فى الفصل الأخير .

بريزون : ولكنك تتذكر ملاحظة براك « الناس لا يفعلون ذلك » .

كرونبرجر : حسن ، فهذه ملاحظة جيدة « الناس لا تفعل مثل هذه الأمور » وهذه أيضا ملاحظة جيدة من ملاحظات ابسن ، ترد على النقاد الذين يرون أن الانتحار انما هو أمر مؤس للغاية . وانى لأرى أن ذلك أمر أدى الى نهاية مفجعة جدا .

لى جاليين : لا أرى أن ذلك من الضرورى . فربما أنها لم تمثل كما يجب .

كرونبرجر : ان لوفبورج يبذل غاية الجهد فى مخطوطه ، ثم يفقده . وفى هذه الأثناء تمرض العمة ، ثم نرى مسز الستد وجيبها ملىء بالمراسلات التى تذهب بها الى غرفة أخرى حيث تستطيع أن تتخاطب مع براك .

لى جاليين : ارى أن هنالك أسبابا كثيرة لحدوث هذه الأشياء جميعا . والواقع ان أحداث التمثيلية تقع فى يوم واحد . وان ذلك لجزءا من بلاغة الايجاز عند ابسن . وأظن أن هذا مما يشق عليك .

بريزون : بلاغة الايجاز . والآن أخبرينى يا مسز لى جاليين . لقد كتبت عن ابسن وترجمت عنه ، مثلت رواياته ، وعلى الأرجح تعرفين عنه أكثر مما يعرف أى شخص آخر يحتمل أن نسأله : كيف يستطيع أن يخلق مثل هذا الأثر الهائل بمثل ذلك الايجاز ؟ فانه كمن يصوب بندقية . يريد أن يجعلك تشعرين باحساس شخصية ما ، ثم يضرب الهدف . كيف ذلك ؟

لى جاليين : هذا صحيح . حسن ، ان تحليل ذلك لأمر عسير للغاية . أعرف أن جميع مسرحياته قصيرة جدا . ومع ذلك فانك

عندما تدنو نحو نهاية احداها ، تشعر كما لو انك كنت تعرف حياة كل شخصية من شخصياتها .

بريزون : ولكن ماهو الاحساس الذى يداخلك عند تمثيل حياة امرأة مثل هيدا جابلر ؟

لى جالبين : يلوح لى بوصفى ممثلة ، أن ما يجعل تمثيل روايات ابسن أمرا مشوقا للغاية ، انما هى الأشياء التى تحدث وانت فى الواقع لا تتكلم ، ذلك النوع من الحيـاة الداخلية للشخصيات .

بريزون : هل كان يوحى اليك بذلك ؟

لى جالبين : انه يوحى بذلك بألف من الطرق . ولهذا يجب أن تعرف كل تفاصيل التمثيلية عن قرب . والحياة الداخلية التى ينبغى عليك أن تبرزها دائما على المسرح ، سواء أكنت متكلما أم كنت صامتا ، انما هى فى الحقيقة أهم جزء فى اخراجك .

بريزون : هذا موضوع فنى ، ولكن يعتمد على هذه النقطة : هل كان ابسن يكتب فى نص المسرحية ما يجب عمله ؟ هل كان يخبرك ماذا تفعلين بينما أنت صامتة ؟

لى جالبين : ليس كما يفعل أغلب المؤلفين المسرحيين .

بريزون : ولا بالقدر الذى ينهجه مؤلفو المسرح الحديث .

لى جالبين : ان كل ما قاله مثلا قبل أن تحرق هيدا المخطوط قبل النهاية بقليل جدا هو هذا : « تذهب الى المكتب ، تتناول المخطوط ، تتوجه الى الموقد وتلقى به » . هذا كل ما يقول .

كرونبرجر : من الأسباب التى تجعل من شخصياته أو من أغلبها شخصيات حقيقية هو أنه بينما يعطيك شعورا تاما بالصورة التى هم عليها ، لا يضايقك بالتفاصيل التى

تجعلك تتوقف وتتحــــير . أصحيح هـــذا أم لا ؟ ان شخصياته عبارة عن شخصيات تتحرك دائما متمشية مع الاطار العام . أليست هي كذلك ؟

لي جالبين : أي نعم . هذا صحيح تماما .

بريزون : حسن . أنت تشيرين الى الشخصية وحسن أداء البناء الدرامي . ان شخصياته سليمة وحقيقية ، ولكنه يعرف أيضا كيف يؤلف المسرحية . ويلم أطرافها .

لي جالبين : أي نعم ، ويا للعجب .

بريزون : لم اذن ، من جميع مسرحيات ابسن ، تسترعي هيــدا جابلر التفكير فيهــا أكثر من غيرهــا ؟ ماذا تحمــل في تضاعيفها حتى تجعل من هذه الشخصية مفتاح ابسن كما قلت ان هاملت مفتاح شكسبير ؟

لي جالبين : ماذا تقول في ذلك يا مستر كرونبرجر ؟

كرونبرجر : لست أعرف أن كنت سوف تؤيدينني ، وانت الشخص الوحيد ولاشك الذي ينبغي له أن يعرف . اني لأقول أنهــا في الغالب اهم شخصية للمرأة ، كتبت في الستين السنة الماضية ، ذلك فيمــا يتعلق باكتمال نواحيهـــا وقابليتها للاخــراج .

بريزون : وفيمــا يتعلق بتعقيداتها . اقصــــد أنك لا تستطيعين الوصول الى أعماق هذه الشخصية .

لي جالبين : هذا صحيح . فانك لا تستطيع أن تصل الى أعماقها . لقد مثلتها أربع سنين ، وكنت في كل مرة اقوم بتمثيلها أشــعر لماذا أنا افكر في هذا ـــ لماذا لم أشــعر بذلك من قبل ؟ انك لا تصل أبدا الى أعماقها .

بريزون : وفيما يتعلق بتمثيلها ؟ ألا تزال حية على المسرح ؟

لي جالبين : عجبا . انها لحية للغاية .

بريزون : ولا يزال الجمهور يتأثر بها فى المسرح ؟

لى جالبين : بصورة هائلة . ان لها تأثيرا هائلا على المشاهدين .

بريزون : أكثر من مسرحيات ابسن الأخرى .

لى جالبين : حسن . لا أستطيع القول بأن لها تأثيرا أكثر من مسرحيات ابسن الأخرى ، ولكنها ولاشك تأتى فى المرتبة الأولى . ان « للأشباح » أيضا منزلة عظيمة ، ومما لاشك فيه أن جميع مسرحيات ابسن الكبيرة باقية على الزمن .

بريزون : ربما كان فى هيدا شيء ما ، أعنى فى التعقد الظاهر فى شخصيتها وفى مصيرها المؤسى ، يضفى عليها لونا عميقا من الأسى .

لى جالبين : حسن ، فذلك لأنه ربما كان الناس دائما أكثر شغفا بالنساء الشديدات المراس أكثر منهم بالنساء الوديعات الخيرات .

بريزون : حسن ، فأنت تعلمين أن أحد كتاب الروايات الفرنسيين قال ذات مرة أن أى انسان يستطيع ان يكتب رواية قيمة عن امرأة شريرة ولكن قلة من الكتاب من يستطيعون ان يكتبوا رواية جيدة أو مسرحية عن امرأة طيبة .

كرونبرجر : ذلك بأنها شخصية واقعية ، وأرى أن ذلك يرجع الى قلة العقد الاجتماعية وندرة مشاهد المشكلات المسرحية فيها ، تلك التى يعنى بها الكاتب .

لى جالبين : اظن ذلك صحيحا .

بريزون : وانك لتأنس ذلك فى جميع المسرحيات الكبيرة ، وتشعر بـه .

# السيادة على النساء

## لجون ستيوارت مل

# جون ستيوارت مل

( ١٨٠٦ – ١٨٧٣ )

كان الابن الاكبر لجيمس مل ، وهو فيلسوف ومؤرخ واقتصادى اسكتلندى . وقد قرأ جون مؤلفات افلاطون وديموثينيس فى سن مبكرة . وقبل أن يبلغ عامه العشرين كان من أقطاب مذهب « المنفعة العامة » فى الفلسفة والأخلاق . وكان يطبق مبادىء الاقتصاد فى دراساته الاجتماعية . ومن أحسن كتبه : « آراء فى الاصلاح البرلمانى » و « مذهب المنفعة العامة » و « الحكومة النيابية » .

وكان مل من انصار الحزب الراديكالى التقدمى ، ومن كبار المدافعين عن حق المرأة فى الانتخاب .

# تعريف بالكتاب

كتب جون ستيوارت مل رسالته هذه ليستنكر فيها استرقاق المرأة بالحجة المنطقية وشواهد الواقع من بوادر زمانه . وكانت المرأة اشبه شيء بالرقيق من الوجهتين القانونية والدستورية حين كتب هذه الرسالة ، لأنها كانت تحرم حقوق التعامل الحر فى معظم البلاد الغربية ، ولم يكن لها كثير ولا قليل من الحقوق الدستورية فى تلك البلاد .

فكتب فيلسوف الديمقراطية رسالته هذه ليطلب لها المساواة التامة فى حقوق التقاضى والتشريع ، أو فى حقوق القانون والدستور على العموم .

ولم يبن الفيلسوف دعوته على نفى الفوارق بين الرجل والمرأة ، لأنه يتكلم فى الرسالة عن الرجل كأنه أقوى الجنسين . ولكنه كان يستنكر فى عصر الحرية أن تبنى الحقوق الاجتماعية على أساس القوة ولو اعتذر المعتذرون لذلك باسم المصلحة العامة ، ويضرب المثل بالمصلحة العامة فى زراعة القطن واسترقاق العبيد ، فليس من الجائز أن يقال أن المصلحة العامة تستلزم زراعة القطن ، وأن الرجل الأبيض لا يصح أن يترك عمله ليشتغل بهذه الزراعة مع وجود العبيد السود ، فينبغى اذن أن تفرض العبودية على الزراع السود لحماية المصالح القومية التى تتوقف على الزراعة القطنية .

واذا كان هذا الاعتذار باسم المصالح القومية غير مقبول فى عهد الحرية الانسانية ، فليس بالمقبول فى هذا العهد أن يقال أن المعيشة المنزلية مصلحة عامة وأن الرجل لايغنى فيها غناء المرأة ، فينبغى اذن أن تضطر الى المعيشة المنزلية بارادة الجنس الآخر .

ولا ينفي ستيوارت مل فوارق الجنسين غير فارق القوة الجسدية، ولكنه يقول أن توضيح هذه الفوارق ليس بالمستطاع مع بقاء الأحوال الحاضرة على ما هي عليه بين الرجـــال والنساء ، وأن الفوارق التى يتحدث عنها الأطباء لا تصلح اليوم للدلالة على الفوارق النفسية لأن الطبيب مختص بشئون الصحة الجسدية ولا اختصاص له بشئون الفكر والخلق ، وحكمه فيها كحكم غيره من أصحاب الصناعات الأخـرى ، فليست أقواله عن فوارق التركيب حجة للقائلين بوجود الفوارق بين الجنسين فى مسائل الأخلاق ومسائل التفكير .

وأيا كان فصل الخطاب فى هذا الخلاف فليس تقرير هذه الفوارق الخلقية أو الفكرية من عمل التشريع ولا من وظيفة القانون . فاذا كان العمل الممنوع مما تعجز عنه المراة بطبيعة تكوينها فلا معنى لتحريمه عليها بنص القانون ، واذا كان من الأعمال التى تقصر فيها المراة ويتفوق فيها الرجل فلا معنى كذلك لتقرير الفوارق فيه بالنصوص القانونية ، لأن المنافسة الحرة كفيلة باعطاء كل جنس حقه ورد كل جنس الى مكانه فيما يتعلق بتلك الأعمال . وانما تضار المراة أكبر الضير فى مصلحتهـا الخاصة ومصالحها العامة اذا حيل بينها وبين القيام بما تستطيعه من أعمال شتى تقدر عليها كما يقدر عليها الرجل أو أعمال مســتقلة هى أقدر عليها منه وعندها من الكفاية الطبيعية لها ما ليس ميسورا لديه . . فاذا ارتفعت عنها قيود الفوارق المفروضة بنصوص القانون والدستور ظهرت كفايتها هذه ولم يدع الأمر الى وضع الحدود التى تبين مـدى الفوارق فى سائر الكفايات ، لأن تبينها سيتم لا محـالة بحكم الطبيعة أو بحكم التجربة العملية فى الحياة العامة .

وقد خطر لنقاد « مل » أنه استرسل فى الدعوة الى المساواة التامة بين الجنسين بتأثير حبه العميق لقرينته الفاضلة « هارت هاردى » التى عرفت باسم مسز تيلر وتزوج منها مل وهو فى الخامسة والأربعين وقال عنها أنها أعظم منه ومن كارليل صديقه الحكيم المشهور ، ولا ينكر ( مل )

بتأثير زوجته فى صقل أفكاره وتهذيب شعوره ، ولكنه يقول بحق أن قواعد تفكيره قد تأسست وتمكنت قبل التقائه بتلك السيدة الفضلى ، وأن ميله الى مساواة المرأة واشمئزازه من الجور عليها كانا من جملة الأسباب التى حببته الى تلك السيدة وقربت بينها وبينه ودعتها الى استجابة حبه وقبول صداقته — فربما استلهم من حياتهما الزوجية كثيرا من دلائل المساواة والكفاية وكثيرا من حقائق الفوارق بين الرجل والمرأة ، ولكنه جمع الفكرة فى لبابها قبل التقائه بها ، وشرع فى كتابة الرسالة فى سنة ١٨٦١ ، أى بعد وفاتها بسنوات ثلاث ، ولم ينشرها قبل سنة ١٨٦٩ ، اذ كان قد مضى على وفاتها نحو عشر سنوات .

وجلية الأمر أن بواعث العصر التى أوحت الى الفيلسوف آراءه فى الحرية الانسانية هى بعينها تلك البواعث التى أوحت اليه آراءه فى تحرير المرأة والغاء قيودها القانونية . وقد تناول برتراند رسل هذا الموضوع وهو يكتب عن الفيلسوف فى صورته القلمية من الذاكرة ، فقال عن البواعث التى سوغت تلك النظرة الجديدة الى المرأة ما فحواه أنها تتلخص فى الانتقال من النظرة البيولوجية الى النظرة الصناعية قال : « ان الصناعة لا تهتم بالفصول وأدوار العام كما تهتم بها الزراعة ، والديمقراطية قد بدلت شأن الأسر وأضعفت شعور الاستمرار فى السلالة ، وقد كان نابليون يعمل لتوريث ابنه العرش بعد موته ، ولكن لينين وستالين وهتلر لم يشعروا بمثل هذه الرغبة ، وأخال أن الرضى بمساواة المرأة انما تأتى من أنها الآن — لا ينظر اليها على ضوء الفوارق البيولوجية ، ويلاحظ ( مل ) أن النساء الوحيدات غير المستعبدات فى انجلترا هن أولئك العاملات فى المصانع ، ولا ندرى كيف نسى الملكة فكتوريا فى هذه المناسبة ! ولكنه على صواب فى ملاحظته لأن العمل فى المصنع — خلافا لولادة الأطفال — عمل يساوى عمل الرجال ، ويبدو أن تحرير المرأة ، مهما يبلغ من الاعجاب بفكرته ، هو فى الواقع جزء من تطور اجتماعى واسع يؤكد جانب الصناعة على حساب جانب الزراعة ، كما

يؤكد جانب المصنع على حساب دار الحضانة ، وجانب السلطة على حساب جانب القوت وتدبير المؤنة ، ويخطر لى أن العالم قد تطوح بعيدا فى هذه الناحية ولن يعود الى السواء والاعتدال حتى تعود السمات البيولوجية فى حياة الانسان الى الذاكرة ، ولكننى لا أرى موجبا للاعتقاد بأن عودة هذه السمات الى الاعتبار انما تتحقق بعـــودة النساء الى الاسترقاق » .

وهذا التعقيب من الفيلسوف المعاصر على آراء أستاذه وصديق أسرته فيلسوف العصر الذاهب هو الفيصل الصادق بين العصرين وبين تقدير آراء ستيوارت مل بالنسبة لما تقدمها وتقدير آرائه هذه بالنسبة لما خلف بعدها .

فمهما يتطرف ستيوارت مل فى مجاراة العوامل الصناعية فهو أصوب رأيا وأصدق حكما من أسلافه المفكرين الذين دارت آراؤهم وأهواؤهم على محور واحد : وهو استرقاق المرأة وحرمانها حقــوق القانون والدستور . فلا يمترى اثنان اليوم فى صواب فيلســـوف الديمقراطية حين تكون مسألة المرأة مسألة استرقاق أو تحرير .

أما تقدير آراء ( مل ) بالنسبة لما خلف بعده فهى أحوج ما تكون الى التعديل كلما دعا الأمر الى الرجوع بالعوامل الصناعية الى الاعتدال ، أو الى تذكير العالم بتلك العوامل البيولوجية التى يقول رســـل انه أوشك أن ينساها .

ومن الزيغ والانحراف عن طبائع الأشياء أن تبنى حقوق المرأة على أساس التنازع بين ضدين كما بنيت أكثر الحقوق الدستورية التى طال عليها النزاع منذ استهلال عصر الصناعة واشتداد الخلاف بين أصحاب المصانع والصناع وبين مالكى الثروة والأجراء . فانما تستقيم حقوق الجنسين على أساس « توزيع الوظيفة » بينهما ثم على أساس التعاون بينهما فيما يصلح له كل منهما ولا يصلح له الآخر مثل صلاحه أو يستعد

له مثل استعداده ، وكل شركة بين اثنين فانما حدودها مصلحة هذين الاثنين ولا زيادة ما لم تكن فيها مضرة بسواهما . وليست كذلك مصلحة الرجل والمرأة أو مصلحة الجنسين فى شركتهما الاجتماعية . فتلك شركة لها حدودها من مصلحة أخرى أعم وأبقى من مصلحة الشريكين ، وتلك هى الحدود المفروضة على الآباء والأمهات .

**عباس محمود العقاد**

# الحـــوار

## (١) ت . ف . سميث ــ (٢) هيلين هيات وولر ــ ليمان بريزون

بريزون : لقد تنبهت عندما أعدت قراءة مقالة مل هذه ، الى أن الطريقة التى يتعامل بها النساء والرجال من الأمور التى يأخذها الناس أخذهم للأمور المسلم بها . ولا عجب فى أن ما واجه به مل عقائد عصره من مخالفــة ذلقة عميقــة تكاد تبلغ مبلغ الفظاظة ، التى خلقت من حولها هــذه الضجة كما حدث . ومع ذلك فلست أدرى : ألا يمكن أننا نفترض الآن فرضا زائفا ، كما فعل الرجال الذين عاشوا قبل مائة سنة . لقد كانوا يفترضون أنهم يعاملون النساء معاملة حسنة ، فى حــين أن مل قد أظهرهم فى صورة القساة الذين لا يحفلون بمشاعر غيرهم من الناس .

سميث : أستطيع القول بأن مسز وولر سوف تقول شيئا عن ذلك عندما تحين لها الفرصة . ولكن قبل أن ننصف النساء ، أحب أن ننصف الرجال . حصلت على عدد من الأعداد المتداولة من مجلة « لوك » ، ولقد قــدرتك « لوك » تقديرا حسنا يا دكتور بريزون ، واستحسنت استحسانا كبيرا هذا البرنامج الذى أخذنا بضلع فى بدئه مع غيرنا منذ أحد عشر عاما . أما صورتك هذه ، فصورة تبدو فيها صغيرا جدا على أية حال .

---

(١) T.V. Smith أستاذ الشعر والسياسة والفلسفة بجامعة سيراكوز ومؤلف كتاب « أسلوب الحياة الديمقراطى » .

(٢) Helen Hyatt Waller مديرة التحرير بجريدة « نيويورك هيرالد تريبيون »

بريزون : هذه الصورة ولا شك اطراء كبير .

سميث : ارى انها تحية لمجلة لوك ، كما أنها تحية للبرنامج الذى قدرته بهذه اللفتة الجميلة .

بريزون : أشكرك شكرا جزيلا يا مستر سميث لاحراجى . آمل أن يكون الدكتور كروثرز قد اطلع عليها .

سميث : أعتقد أنه فعل .

بريزون : أتراك تذكرت مستر مل وأنصاف النساء يا مستر سميث !

سميث : سوف أعود الى ذلك . فهذا الكتاب من أهم الكتب فى كل العصور . لقد اثر فى نفسى تأثيرا عميقا وباقيا ، ذلك بأن مل دلل فى أول صفحة من صفحات هذا الكتاب — وهذا ما يسعى اليه — على أن المبدأ الذى ينظم العلاقات الاجتماعية القائمة بين الجنسين انما هو خطأ فى ذاته ، وأن هذا أحد العوائق الرئيسية التى تقف فى سبيل التقدم الانسانى ، وأنه ينبغى أن يستعاض عنه بمبدأ من المساواة التامة ، لا يسمح باعطاء سلطان ومزايا من ناحية أو حرمانات من ناحية أخرى . هذا عماد القوة فى العلاقات الانسانية ، مما جعل هذا الكتاب يطبع فى نفسى أثرا عميقا .

وولر : أظن أن الكتاب يصبح أكثر تحديا ، عندما يعمل مل على اثبات أن المساواة فى الحقوق بين الرجال والنساء ، ليس لها من مصدر الا قانون الأقوى .

بريزون : يثبت أم يقول يا مسز وولر ؟ اترين أن هذا حق ؟

وولر : أرى أنه اتى الأمرين . فهو يقول مثلا انه لا توجد طبقة أخرى من التابعين قد تشوهت شخصياتها تماما واختلت النسبة الطبيعية بين مقوماتها من جراء علاقتها بأسيادها .

بريزون : أسيادها أولئك هم ازواجهن وآباؤهن ؟

وولر : نعم . ذلك ما يبدو بوضوح .

بريزون وعلى الأخص أزواجهن .

وولر : أظن أنه تكلم عن الرجال والنساء من حيث جميع العلاقات . ولكنى أود أن أسألكما أيها الرجلان عما تريان فى تقرير مل هذا : يقول « ان الغالبية من الجنس الخشن لا تستطيع حتى الآن أن تقبل فكرة الحياة مع ند من الجنس الناعم » .

سميث : حسن ، وانى لأتساءل هل تقبل النساء فكرة الحياة مع ند من الجنس الخشن أكثر مما يقبل الرجال ؟

وولر : حسن ، انهن لم تتح لهن الفرصة بعد لمعرفة ذلك .

سميث : من ذا الذى يود المعيشة مع ند ؟

بريزون أتفترض يا مستر سميث أن امرأة نشأت فى العصر الفكتورى المجيد ـ ذلك النوع من النساء الذى عرفه مل وكتب عنه ـ كانت تفضل الحياة مع من هم أرفع منها مكانا ؟

سميث : يخيل الى أنهن كن يفضلن الحياة باعتبارهن الأرفع فى الحياة مع من هم أرفع .

بريزون أيداخلك بعض الشك يا مسز وولر فى حقيقة الاتهام الذى يوجهه مستر مل ؟

وولر : آمل أن أكشف عن ذلك .

سميث : كلا ثم كلا ، فانى أستدرج مسز وولر . أرى أن نظرية مل مصيبة تماما ، الا أنها أكثر سعة مما صورها ، فانه يرى أن الرجال يطلبون السيادة . وأنا أرى أنه أمر انسانى أن يطلب الانسان السيادة . فليس من رجل أو امرأة عاش فى أى زمان ، يستطيع أن يحتفظ بروحه المعنوية من غير أن يرى أو ترى هى أنه صاحب السيادة على شخص آخر فى ناحية ما .

وولر : ولكن ألا تستطيع أن تحصل على هذا الشعور من علاقاتك مع الناس باعتبارهم أناسى ؟ وهل يلزم دائما أن تأتى نتيجة هذه العلاقة بين الرجل والمرأة ؟ أسلم بأن الشعور بالوحدة والوحشة الذى يصيب الرجل الذى يعجز عن أن يذهب الى المنزل فيجد زوجة ترى فيه سيد الخليقة وتاجها ... عجزه عن وجود هذه العابدة قد تكون له بعض الآثار الضارة على عمله ، لكن من جهة أخرى ، أليس يعوق الرجل عن أن يؤدى عمله على أحسن وجه ، أن يذهب دائما الى بيته وهو يشعر أنه ملك .

بريزون : أتعتقدين أن الزوجة تحتل المكان الذى كانت تحتله الأم فى المرحلة الأولى من حياة الانسان ؟

وولر : وبصورة أعم وأهم ، أقول ان المجتمع الانسانى ــ وأقول هذا مع مل ــ يخسر خسارة كبيرة . فالرجل قد لا يفعل أحسن ما يستطيع ، عندما يحصل على دفء هذه المكانة المنزلية فى المنزل حيث يسود ، والمرأة لا تسهم بقدر ما تستطيع فى النطاق العام للمعرفة الانسانية ، اذا كان عليها أن تبذل قدرا كبيرا من طاقتها الابتكارية من أجل أن تفعل فقط ما يريد الرجل منها أن تفعله .

بريزون : لننظر يا مسز وولر الى ماجريات الأمور قبل تسعين سنة ، ولنوازنها بما يحدث فى أيامنا هذه ــ حتى ولو كان ما افترضت عند بداية حديثى ما يزال قائما فى عقلى . لم يكن للنساء حقوق فى التملك ، ولا حقوق سياسية ، ولم يكن لهن حقوق على أبنائهن . فاذا ورثت المرأة ملكا آل الى زوجها ، من غير أن يؤخذ رأيها . ولم تكن المرأة لتمتلك شيئا مطلقا الا بناء على عقد خاص .

سميث : لم يكن لها حق الطلاق . .

بريزون : لم يكن لها على الاطلاق حقوق شرعية أو سياسية . والآن يقول مل أنه عليك أن تتخلص من هـــذه الحرمانات الشرعية . قال بأن الجمعية الانسانية ، بفرضها هذه الحرمانات النوعيـــة على مـــا يزيد على نصف الجنس البشرى ــ انمـــا تفرض قيودا تعوق النـــاس عن أداء ما يستطيعون من أعمال بقوتهم وقدرتهم وكفايتهم ،وانك اذا نحيت تلك القيود ، فان كل شيء سوف يســير في مجراه الطبيعى . ولقد كانت هذه القيود قائمة ، أليس كذلك ؟

وولر : كانت قائمة .

بريزون ولقد حرفت النساء ؟

وولر : أى نعم .

بريزون : ولكن هل كان النســـاء بغير سلطان فى منتصف العصر الفكتورى ؟

وولر : حسن . وهذا يصل بنا الى النقطة الرئيسية عند مل ، انك ان عدمت الحرية فانك تنشد السلطان . وهو يبين الى أى مدى يؤثر هذا الأمر تأثيرا مفسدا ، لا فى أخلاق الرجل أو في أخلاق المرأة فحسب ، وانما فى المجتمع كله .

سميث : أى نعم ، فليس هناك توازن بين المسئولية والسلطة . فانك أن كنت ذا سلطة بلا مسئولية ، كما كان الرجال من الناحية القانونية ، فانك عنـــدئذ تسيء اســـتعمال سلطتك . واذا كنت ذا مسئولية بدون سلطة كما كان النساء ، فانك اذن لا تستطيع أن تنهض بمسئولياتك . ولهذا فان العلاقات التى ينبغيأن تقوم على أساس من مبادىء العدل و « الشرف له التزاماته » والواجب ، كلها فسدت نتيجـــة لعدم وجود ارتباط بين الســـلطة بطريقة متساوية بين الجنسين .

وولر : أود أن أعود ثانية الى الفكرة التى اثرتها لحظة يامستر بريزون . انك تشير الى أن هذه الحرمانات الشرعية قد أزيلت جميعا ، ومع ذلك فان عدم المساواة ما زال قائما بين الرجال والنساء .

بريزون : أنا لم أقل بذلك . لقد كنت أتساءل هل هذا هو ما حدث أم لا .

وولر : حسن ، فأنا أسلم بهذا ، وأريد أن أقول بصراحة تامة اننى لو لم أقرأ مل ، لكنت فى مركز دفاعى فى هذه الندوة ، فلقد كنت أحسب أن للنساء مساواة تامة بالرجال فى ظل القانون ، وأنهن لم يكن يستعملنها ، ولولا قراءة مل لظننت أن الأمر بيد النساء وانهن لم ينتهزن الفرص التى اتيحت لهن .

بريزون : بعبارة أخرى نقول ان ما طالب به مل قد تحقق .

وولر : لقد حدث ــ من الناحية القانونية .

بريزون : ان النساء على اليقين لسن كما كن من حيث سوء الوضع ، فقد سمح لهن باتخاذ المهن . أليس كذلك ؟

وولر : أى نعم .

بريزون : لهن نفس الحقوق فى محاكم الطلاق كالرجال ، ويتمتعن بالمساواة فى دخول الميدان السياسى .

وولر : أى نعم ، لهن هذه الحقوق ، ولا يستعملنها باعتبارهن مساويات للرجال . لماذا ؟ هنا يصبح مل مشوقا للغاية ، لأنه يحاول أن يبين كيف أن طبع النساء ــ من حيث شخصياتهن ، وتكوينهن الكلى ــ قد شوه نتيجة للحالة الاجتماعية التى ولدن فيها .

سميث : كان مل الوريث ، كما سوف تذكر ، لمبدأ المنفعة العامة ، ذلك المبدأ العظيم فى الفلسفة ، كما كان مل وريثا لحركة

الاصلاح كلها التى تدعو الى نشر الحرية على نطاق واسع عن طريق تطبيق المساواة • عندما كان فى العشرين أو فى الواحد والعشرين من عمره ، كان منغمسا فى حركة الاصلاح برمتها ، ولقد سأل نفسه ذات ليلة بعد حضوره اجتماعا ، أثار فيه صخبا . « لنفرض أننى استيقظت فى الصباح ووجدت جميع الاصلاحات التى طالبت بها قد تمت فعلا ، فهل أكون سعيـــدا ؟ » وانك لتعرف أن السعادة انما هى محك الفكرة النفعية فى الحياة الطيبة ؛ وانبغى له أن يجيب « كلا ، ما كنت لأسعد » . ولقــد أصابه انهيار عصبى نتيجة لهذا الكشف . والآن يتضح أن مل كان ملتزما فى هذه المقالة عن النساء ، ذلك العنصر عينه من عناصر الاصلاح . كان شغوفا بتوسيع نطاق الحرية كما تعلم . والحرية لا يمكن أن يتسـع نطاقها الا بالتوسيع فى أصول المساواة . واختار النساء لأنهن كن أكثر من عوملن من أفراد المجتمع معاملة مختلفة فى عصره باعتبارهن طبقة . ربط فلسفته برمتها ، وحبــه للحرية ، بقضية النساء ، من أجل احداث اصلاح ، لو أنه تم كما قدر له أن يتم ، لما ترك مل سعيدا .

بريزون : لنستمر مع مل لحظة يا مستر سميث ـ اكان مل الرجل الذى يمكن أن يكون سعيدا فى أى مجتمع ؟ ان اتخاذ مل النساء موضوعا أساسيا فى محاولته لاصــلاح المجتمع باسم الحرية ، انما كان أمرا متعلقا بمزاجه الخاص . لم تكن علاقاته الشخصية بالنساء عادية .

سميث : حسن ، فانه لم يتزوج حتى بلغ الخامسة والأربعين . ثم تزوج بامرأة كان صديقها الصدوق زمنا طويلا ، الا أن زوجها كان موجودا ، وكانت علاقته به عــلاقة معروفة جيدا فيما يبدو .

بريزون : وكان هذا الى حد ما أمرا فاضحا فى نظر كثير من أصدقائه.

سميث : حسن ، فهذا حدث فى العصر الفكتوري . لكن كان مل بمعنى ما ضعيفا فى موقفه ازاء العلاقات الاجتماعية المبنية على القوة . لا أقصد بهذا اطراء ، ولكن أقصد به أيضا أن يكون وصفا لمل . ان حياته مع هـذه المرأة ، مسز « تيلور » ، التى أصبحت زوجته بعد ذلك بزمن طويل ، انما كانت احدى المثل العليا لكل الأزمان فى نظر الرجال والنساء على السواء . لكنه كان يشعر بعظم الخسارة التى خسرها العالم ، ذلك بأنها لم تستطع أن تحصل على الاعتبار الذى يجب أن تحصل عليه ، فقط عن طريقه وحده .

وولز : انه لأمر مشوق أن نعرف كم توجد كتب أخرى ، كم توجد مأثورات غير ذلك ، الفضل الثانى فيها الى النساء.

بريزون : حسن . ان مل قد عنى عناية خاصة بدراسة هـذا الموضوع . أراد أن يعرف كم من الرجال قد أخذوا فكرات كانت عند النسـاء ، تلك الفكرات التى لم تكن النساء بقادرات على تنميتها والتوسع فيها لأنه كان ينقصهن المران والتعليم ، ولكن الرجال لأنهم متعلمون، قد استعملوها وأخرجوا منها كتبا عظيمة . لقد قال عنهن الشيء الكثير فيما يتعلق بنفسه . هـل شك أصدقاؤه فى التأثير الذى كان لمسز تيلور عليه ؟

وولز : أى نعم ، ولكن ذلك كان أمرا لا مندوحة عنه فى ذلك الوقت ، بسبب الوضع الاجتماعى كله ، الذى جعل الناس ينظرون مشدوهين الى هذه العلاقة . غير أن الوضع هنا يا مستر بريزون ، هو أكثر الأوضاع دعوة الى التساؤل ، وهو أنه كم كان يصبح المجتمع أكثر ثراء ، اذا سمح للنساء أن ينمين قدراتهن الفكرية ، وشخصياتهن

حتى يبلغن فى ذلك مبلغ الرجال . أنا لا ادافع الآن عن النساء لأحصل على شيء آخر يرضيهن . لقد اخترت وجهة نظر مل فى أن ثروة المعرفة الانسانية والادراك الانسانى انما نقصت الى النصف ، طالما كان النساء محمولات على هذا النوع من تضييع الوقت الذى دفعن اليه .

سميث : تعرفين يا مسز وولر أن هذا يحيرنى كثيرا . لقد نافح مل عن الاصلاحات الشرعية التى تمت .

بريزون : عنها جميعا !

سميث : لم يخف على مل حقيقة أن هذا سوف لا يعالج جميع أمراض المجتمع . ولكن لماذا لم تؤد المساواة فى ظل القانون أكثر مما أدت ازاء ازالة القيود الاجتماعية ؟

وولر : لأن هذه القيود تبدأ عندما يولد الطفل . ان جميع اتجاهات الثقافة الحديثة بعيدة عن الفكرة الفكتورية . فانك أنت ، انما هو أنت ، بحكم المولد . المفروض أن تكون ما أنت بمقتضى قدراتك . ومع ذلك فانه عندما يولد الطفل ، سواء أكان ولدا أم بنتا ، فان الشعور الذى ينمو توا بين أفراد العائلة هو أن هنالك مهمات وأساليب معينة ، يستطيع أن يتبعها الرجل ، ولا تستطيع أن تتبعها المراة . هذا الموقف انتقل إلى المدرسة والجامعة . لقد كنت اقرأ واترقب حديثنا اليوم ، فيم نلقن شطرا من جمعيتنا فى معاهد النساء . نحن لا نعلم النساء ليكن باحثات وراء الحقيقة . اننا نعلمهن ليكن نساء .

بريزون : الا يعلمون الرجال ليكونوا رجالا .

وولر : انهم يعلمون الرجال ليكونوا آدميين . ليس هنالك ترويض للرجال فى المدارس أو الكليات يكرر لهم القول « أنت

رجل ، ومن ثمة ، فينبغى عليك أن تعرف ذلك » .
« أنت آدمى » . ها هو ذا المجال الأوسع للمعرفة الانسانية : أن تبحث عن الحقيقة . لكن انظر نظرة الى برامج تعليم النساء ، فترى الجهود موجهة للناحية النسائية دائما وفى كل وقت . « يجب أن تتبعى هذا النمط الخاص لأنك امرأة » . أظن أنه من الاسراف أن نشوه ما فى شبابنا من تماسك طبيعى ، ونشدان لما هو خير وما هو حق ، عن طريق التمييز بين الجنسين .

بريزون : تعنين يا مسز وولر أن مل لو كان اليوم حيا ، لما شقى فقط لأنه لا يمكنه أن يسعد الا اذا أصلح بأية صورة ، وانما كان يشقى أيضا لأن الاصلاحات التى تمت قد طبقت ولكن لم تأت بثمرة . لقد زالت القيود القانونية ولكن لسبب أو لآخر ــ ربما يرجع ذلك الى الجملة التى تقرئينها ــ ان النساء ما زلن عائشات فى ظل القيود .

سميث : يساورنى شك يقلقنى كثيرا يا مسز وولر ، ينحصر فى أن السبب الذى من أجله لم يؤد الغاء القوانين المجحفة بالنساء الى مساواة النساء بالرجال فى الفرص ، هو أن النساء لا يردن ذلك النوع من الحرية الذى أراده لهن مل .

وولر : لا أظن ذلك صحيحا يا مستر سميث ، ولا أظن أنك تقول ان الأمر كذلك لأنهن لم ينلن الحرية قط . فكيف يعرفن ما اذا كن يرغبن أو لا يرغبن فيها ؟

بريزون : أتعنين أنهن قد علمن الا ينشدنها ؟

وولر : أى نعم .

بريزون : أعن طريق الرجال ؟

وولر : أى نعم .

بريزون : كلا ، عن طريق أمهاتهن .

وولر : حسن ، بل عن طريق مجتمعهن ، الذى ربهن .

بريزون : لماذا تكون الأمهات هن بلا استثناء الطريق الى هذا الوضع الاجتماعى الشائن الذى يفرضه المجتمع على النساء ؟ أن الأم أولا وأخيرا ، هي التى تشوه العلاقة بين الجنسين فى عهد الطفولة .

وولر : ذلك لأن علاقتها بزوجها شوهاء ، ملتوية ، من وجهة نظر مل .

بريزون : اذن فالمشكلة ليست قانونية ؟

وولر : كلا .

بريزون : ما هى اذن ؟

وولر : انها مشكلة اجتماعية . مشكلة تربوية .

بريزون : وهل تظن أن مل كان مصيبا عندما قال أنها مبينة أصلا على القوة ؟

وولر : لا أعرف . وأظن أن هذه فكرة تدعو الى كثير من الألغاز ، وهى كذلك فكرة يكون من الشيق جدا أن نستقصى بحثها الآن بجميع صورها . فمثلا ، أستنتج من مل أنه يعتقد أن كثيرا من التحامل الجنسى مبنى على الشعور القائم فى نفس رجل بأنه أفضل من شخص آخر ، وعلى عدم قدرته على الحياة معه باعتباره مساويا له . غير أن هنالك شيئا آخر يقلقنى أكثر . وانى لأتساءل : ان لم يكن الأطفال قد ربوا على هذه الفكرة منذ يوم ولادتهم . ذلك بأن الأم مع أنها لم تعط الفرصة لتنمية شخصيتها كفرد ، وقوتها الفكرية كانسان ، فان تحت تصرفها عقولا جديدة تشكلها وتجبلها ، وانى لأجزم أن ما تشعر به كثيرا من خيبة الرجاء تنعكس صورته فى أخلاق هؤلاء الأبناء .

سميث : اعتقد أن ذلك حق بوصفه واقعا مألوفا ، ولكن النساء في جميع انحاء العالم ، وفي جميع العصور ، ومهما كان السبب ، كن في المحل الثاني بالنسبة للرجال ، ليس دائما بالنسبة لأزواجهن ، بل كذلك بالنسبة للأعضاء الذكور في أسرتهن اذا كانت لهن ممتلكات ويحتمل أن يكون هنالك سبب أعمق من هذا الذى اهتدى اليه ادراك مل نفسه لاستمرار هذه الحالة برغم كل مايصنع لعلاجها. ان ذلك لشبيه ببطل احدى القصائد الشعرية الانجليزية القديمة ـ قطعت ساقاه ، فظل يحارب على جذاميره .

بريزون : ان التحامل لكثير الشبه جدا بذلك الجندى الانجليزى القديم الذى ضمر نصفه الأسفل كما تقول .

سميث : أعتقد يا مسز وولر بأن أكثر النساء انما يعتبرن حمل الطفل وتربيته أمرا أجدر بالاقدام عليه في الحياة الخلاقة، عن تحقيق جميع الأشياء التى توحى بها عبارة « المساواة الشرعية » .

وولر : ولكنها تستطيع بمنتهى البساطة أن تفعل الأمرين يا مستر سميث . لقد كانت لها القدرة على تنمية شخصيتها في ناحية ، ولم يكن لها القدرة مطلقا على تنميتها في مجالات أخرى .

بريزون : لنبحث الآن بهدوء وجهة نظرك الجريئة يا مسز وولر ـ وأقول ذلك بشيء من الحرج علما منى بأنك قد حققت الأمرين ، وأن لك طفلين لا ينقصهما عناية الأم في أى شيء يحتاج اليه الأطفال . أهما من نفس الجنس ؟

وولر : أى نعم ، فهما ولدان .

سميث : هل سوف يعاملان النساء معاملة حسنة ؟

وولر : علينا أن ننتظر ونرى ذلك .

بريزون : لكن ، الا يثير المستر سميث سؤالا ينبغي أن يواجه حتى ولو كان من المحتمل اغفاله ، كما أغفلته أنت ؟ مما لاشك فيه أن هنالك أمرين لا يمكن أن يغيرهما أي تشريع . أحدهما يتعلق بتقسيم العمل القائم على أساس من علم الأحياء ، الذي يعود رأسا الى أقدم العصور البدائية . كان ينبغي على النساء أن يمكثن من حول المنزل لرعاية الأطفال . وكان الرجال يذهبون للصيد والقتال ، ولم يكن هذا بطريق الاختيار ، ولو أنهم اختاروا ذلك . أما الأمر الآخر فالقيود الاقتصادية ، ذلك بأن نسبة كبيرة جدا من النساء في العالم اليوم ، لا تمتلك مالا كافيا تنفقه على من يقوم بالعناية بالأطفال الصغار ، حتى يتمكن من أداء عملهن في مهنة ما . كيف تعالجين اذن هذين الأمرين؟

وولر : نحن نعيش في عصر التخصص التام . كلما تحققت من عدم قدرة الأمهات الصغار وعدم قدرتي بعض الأحيان على حل مشكلاتي بنجاح ـ لا لشيء الا لأني لم أتدرب تدريبا كافيا ـ فاني أعجب ، لم تكون أهم الوظائف جميعا ، وهي تربية الأطفال الصغار ، متروكة بين أيدي مثل أولاء الهاويات القاسيات . اننا متخصصون في كل شيء آخر .

سميث : لأننا نعتقد أن المحبة أكثر أهمية من الكفاءة .

وولر : ولكن الأمر يتعلق بشيء أكثر من المحبة . ان أية أم شابة ومعها طفلان أو ثلاثة لتعتني بهم أربعا وعشرين ساعة في اليوم ، انما تفقد أعصابها بعض الأحيـــان ، وتتصرف كبائعة سمك ، وتحنو عليهم أحيانا أخرى بافراط بالغ ، لأنها تبغي أن تستعوض بذلك شيئا في مجال لم يكتمل عندها اكتمالا تاما . وأرى أنه ينبغي علينا أن ننهج طريقا أفضل في تربية الأولاد ، عما نتبع اليوم .

سميث : كيف ذلك ؟

وولر : ينبغى أن تعطى الأم فرصة قبل الزواج ، لتنمى نفسها بطريقة لا تجعلها فى حاجة الى أن تمعن فى طلب التعويض بافراط ، أو تكون عطوفة أكثر مما ينبغى ، أو تفسد فطرتها تماما بأن تظل حبيسة المطبخ . وينبغى من ناحية أخرى أن يوضع الأطفال فى دور حضانة نهارية حتى تستطيع الأمهات التفرغ لشئونهن ساعات قليلة على الأقل .

بريزون : الا يلزم هذا الوضع ، مع ذلك ، بعض النساء أن يكن خادمات ومربيات ؟

وولر : ولكن متخصصات . ان العناية بالأطفال الصغار ، أو العمل مدرسة فى مدرسة حضانة ، انما يبدو مثيرا للغاية ، بل أكثر الأشياء اثارة فى العالم .

سميث : مما لاشك فيه أن ذلك قد يبدو عملا مثيرا جدا .

بريزون : لى أن أقول انه قد يكون مخيفا فى بعض الحالات .

سميث : ومع ذلك اعتنق مل وجهة النظر القائلة بأنك لا تستطيع أن تحصل على أى نوع من انواع العدل حتى تحصل على العدل القانونى . ولقد حاول أن يحقق العدل القانونى عن طريق مساواتها بالرجل . ولقد حصل عليه فعلا . والآن نستطيع أن نعالج بأية طريقة نواحى القصور التى لم تزل قائمة .

بريزون : انه لحقيقة واقعة ، أن لدينا فى هذه البلاد أشياء كثيرة كان يمقتها مل كثيرا ، فان مل كما تعرف ، وخاصة فى رسالته عن الحرية ، انما كان يخشى كثيرا ما نسميه الآن الدولة الاشتراكية ، بالرغم من أنه كان يوجد دول اشتراكية قبل ذلك من غير تصويت النساء فى الانتخابات ،

فانى لا اظن أن احدا يشك فى أن اشتراك النساء السياسى فى تقرير مصيرنا الآن ، كان قـوة من أكبر القوى التى أبرزت الدولة الاشتراكية ، وهى التى خشيها ، لأنه كان يرى أنها سوف تقضى على الأخلاق .

وولر : بقى موضوع واحد يتعلق بالنساء . فانه يبدو لى أنه ربما لا يوجد شىء يستطيع أن يفعله الرجل ، غير قيادة فرقة سيمفونية ، يمكن أن يقارن بالسرور والرضا اللذين يساوران المرأة نتيجة لحملها وتربيتها للطفل . وربما يكون ذلك كله مؤامرة ضد النساء ، لتمنع الرجال من الشعور الجارف بأنهم أدنى مرتبة .

سميث : اظن أننا سوف نتغلب على أى شعور بالنقص عندنا .

بريزون : هل تظنين يا مسز وولر أن ما انتحل الرجال من الاستعلاء على مر العصور ــ وذلك ما علمتــه من النساء ــ ذلك الاستعلاء الموصوف بالصلف والعجرفة ، انمـا هو فى الواقع تعبير عن خوفهم من أنهم لم يبلغوا من ذلك المبلغ المنشــود ؟

وولر : كلا ثم كلا ، ان الفنــــون النسائية هى التى تجعلهـم لا يشعرون بالنقص الشنيع ، ذلك بأن الرجال من الناحية الاحيائية انما هم بالغو النقص ، حتى لقـد انبغى على النساء أن يخلقوا كل هذه الفلسفة الفكرية كى لا يشعرهم بنقصهم البالغ .

بريزون : ماذا سوف يحدث اذن عندما تسيطر النساء على المهن ، والأعمال والشئون العامة والتعليم . وهذا مما لاشك فيه مستقبلا ، ومع ذلك سوف يحتفظن بكونهن النصف المختار من الجنس البشرى ، الذى يستطيع أن ينجب أطفــــالا ؟

وولر : يحتمل أن يكون ذلك حافزا للرجال على تنمية افضل ما يتصفون به من قدرات فكرية ، حتى يعيدوا الأمور الى نصابها ، ويضعوا النساء فى النهـــاية فى الوضـــع المناسب لهن .

بريزون : أى شيء هذا ؟

وولر : سوف ننتظر ونرى .

بريزون : تخيلت لحظة أنك كنت تعنين أن وضعهن المناسب ــ على أية حال ــ هو الأدنى .

وولر : ان ذلك مجرد أمر يتعلق بالمساواة ، وهو ما يثيره مل مرارا وتكرارا أن الناس يجب أن يكونوا ما يستطيعون ، عن طريق قدراتهم ، ولا يتسرع أحد فى الحكم عليهم .

بريزون : وأعتقد أنه انصـــافا لمل ينبغى لنـــا أن نعترف بأنه كان أول من قال بذلك ، ولو أن المساواة القـــانونية كانت ضرورية ، فان المساواة القانونية لم تحل المشكلة كلها .

# هذا الكتاب

للمراة فى هذه المجموعة حصة الأسد ، لانها تشتمل على رسائل مدام سيفينى ، وقصة شارلوت برونتى ، وسيرة الملكة فكتوريا ، وشخصية هيدا جابلر اشهر بطلات الكاتب النرويجى هنريك ابسن الذى تخصص فى مسرحياته لدراسة الشخصيات النسوية ، وختامها بحث فى كتاب الفيلسوف الانجليزى جون ستيوارت مل عن حقوق النساء فى القانون وفى الدستور .

واختصاص المرأة بالقسط الأوفر فى موضوعات هذه المجموعة لا يمنع أن تكون على المألوف منها منوعة متعددة الجوانب بأكثر من معنى واحد ، لأن تعدد جوانبها قد يتناول الكتاب ومواطنهم كما يتناول الكتب وموضوعاتها .

ففيها تعليق على أدب الرسالة ، وتعليق على أدب القصة وتعليق على أدب المسرحية ، وفيها عدا ذلك الملام بالسيرة التاريخية والمام بمباحث الاجتماع وحقوق الانسان ومن مؤلفيها كاتبة فرنسية ، وأديبة ارلندية ، وروائى نرويجى ، ومؤرخ وفيلسوف انجليزى .

من تقديم

عباس محمود العقاد

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
سنة ١٩٦١




الثمن ١٨ قرشا